

ولكن ليسعهم منكم
بسطة الوجه وحسن الخلق

الشيخ محمد بن
سعيد

جمع وترتيب
من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
حفظه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۗ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ
الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ
فِي النَّارِ.

• أَمَّا بَعْدُ:



فَإِنَّ الْخُلُقَ وَالْأَدَبَ عُنْوَانُ فَلَاحِ الْمَرْءِ وَسَعَادَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَا اسْتَجَلِبَتِ الْخَيْرَاتُ بِمِثْلِ الْخُلُقِ الْفَاضِلِ وَالْأَدَبِ الْكَرِيمِ.
وَالدِّينُ كُلُّهُ خُلُقٌ، فَمَنْ زَادَ عَلَيْكَ فِي الْخُلُقِ زَادَ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ.
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟».

فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ»^(١). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ.
فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُسْنَ الْخُلُقِ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ، وَقَرَنَهُ بِالتَّقْوَى
الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ وَصِيَّةٍ.
قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): «جَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنِ

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع»: كتاب البر: باب ما جاء في حسن الخلق، (٢٠٠٤)، وابن ماجه في «السنن»: كتاب الزهد: باب ذكر الذنوب، (٤٢٤٦).
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»، وحسن إسناده الألباني في «الصحيححة»: (٢) / ٦٦٩، رقم (٩٧٧).

(٢) «الفوائد» (ص: ٧٦) طبعة. عطاءات العلم.

وَلَكِنْ لِيَسْعَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ!

الْخُلُقِ؛ لِأَنَّ تَقْوَى اللَّهِ تُصْلِحُ مَا بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ يُصْلِحُ مَا بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، فَتَقْوَى اللَّهِ تُوَجِّبُ لَهُ مَحَبَّةَ اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى مَحَبَّتِهِ».

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا»^(١). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

فَكَلَّمَا كَانَ الْمَرْءُ أَحْسَنَ خُلُقًا كَانَ أَقْرَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ غَيْرِهِ، وَكَلَّمَا كَانَ أَسْوَأَ خُلُقًا كَانَ أَبْعَدَ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّكُمْ لَنْ تَسْعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَسْعَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»^(٢). رَوَاهُ الْبَزَارُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

أَيُّ: لَا يُمَكِّنُكُمْ أَنْ تَسْعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ عَطَاءً وَبَدَلًا مَهْمَا كَثُرَتْ أَمْوَالِكُمْ

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع»: كتاب البر والصلة: باب ما جاء في معالي الأخلاق، (٢٠١٨)، من حديث: جاب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: «هذا حديث حسن غريب».

والحديث صححه الألباني في «الصحيحة»: (٢ / ٤١٨، رقم ٧٩١).

(٢) أخرجه البزار في «مسنده» (١٧ / ٩٩ / ٩٦٥١)، والمحاملي في «الأمالي» (١٦٨)، ومن طريقه أخرجه قوام السنة في «الترغيب والترهيب» (٢ / ٨٥ / ١٢٠٨)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٢ / ٣٣) كلهم من طريق أسود بن سالم حَدَّثَنَا عبد الله بن إدريس عن أبيه عن جده عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، به.

وحسن الحديث الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٠ / ٤٥٩، ط دار المعرفة) وحسنه أيضا الحافظ الذهبي في «السير» (٨ / ٣٠٣).

وَلَكِنْ لِيَسْعَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ! —————

وَعَظَمَ سَخَاؤَكُمْ؛ لِأَنَّ اسْتِيعَابَ عَامَّتِهِمْ بِالْإِحْسَانِ بِالْفِعْلِ غَيْرُ مُمَكِّنٍ، فَسَعَوْهُمْ
بِأَخْلَاقِكُمُ الْكَرِيمَةَ وَأَدَبِكُمُ الْجَمِيلَ؛ بِبَسْطِ الْوَجْهِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ، وَهَذَا أَمْرٌ هَيِّنٌ
سَهْلٌ مُتَيْسِّرٌ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ وَوَهَبَهُ الْخُلُقَ الْحَسَنَ.

رُويَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّهُ كَانَ يُنْشِدُ:

بُنَيَّ إِنْ الْبَرَّ شَيْءٌ هَيِّنٌ وَجْهٌ طَلِيقٌ وَكَلَامٌ لَيِّنٌ

هَذِهِ الْأَخْلَاقُ هِبَاتٌ مِنَ اللَّهِ، وَتَفَضُّلٌ مِنْهُ، يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا مَنْ شَاءَ مِنْ
عِبَادِهِ. (*)

إِنَّ هَذَا الْحَالَ الشَّرِيفَ هُوَ بَابُ هِدَايَةِ الْخُلُقِ، وَمِفْتَاحُ الْإِقْبَالِ عَلَى الْحَقِّ، وَهَذَا
جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه يُعَدُّ مَحَاسِنَ الْإِسْلَامِ وَمَفَاخِرَهُ لِلنَّبَاشِيِّ فِي مَشْهَدِ
عَجِيبٍ، وَحَوَارٍ مَهِيْبٍ، دَرَسَ جَعْفَرُ أَدْوَاتِهِ، وَعَرَفَ كَيْفَ يُخَاطَبُ قُلُوبَ الْمُلُوكِ،
حِينَ قَالَ لِلنَّبَاشِيِّ: «أَيُّهَا الْمَلِكُ! كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ،
وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفُوحَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجَوَارَ، يَأْكُلُ
الْقَوِيُّ مِنَ الضَّعِيفِ.

فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا، نَعْرِفُ صِدْقَهُ وَنَسْبَهُ وَأَمَانَتَهُ
وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ؛ لِنُوحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ
دُونِهِ؛ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «مَوَاعِظُ وَتَذَكِيرٌ» (مُحَاضَرَةٌ ٦٢: فَضْلُ حُسْنِ الْخُلُقِ فِي الْإِسْلَامِ)،

السَّبْتُ ٢٣ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى ١٤٤٤ هـ | ١٧-١٢-٢٠٢٢ م.

وَأَمْرَنَا بِبِصْدَقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ،
وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالِدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ
الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ.

وَأَمْرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَأَمْرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ
وَالصِّيَامِ، قَالَ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ، قَالَ: فَصَدَّقْنَاهُ وَأَمَّنَّا بِهِ، وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا
جَاءَ بِهِ^(١). الْحَدِيثَ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»، وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ شَاكِرٌ
وغيره - رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى جَمِيعًا - (*).



(١) جزء من حديث طويل في الهجرة إلى الحبشة، أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢٠١ -
٢٠٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٩ و ١٤٤)، وفي «الدلائل» (٢/ ٣٠١ -
٣٠٦)، والحديث جود إسناده الألباني في «الصحيحة» (٧، ٥٧٨، رقم: ٣١٩٠).
(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «مِصْرٌ وَخِيَانَةُ الْأَمَانَةِ» - الْجُمُعَةُ ١٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٦ هـ | ٥ -

فَضَائِلُ حُسْنِ الْخُلُقِ وَثَمَرَاتِهِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

إِنَّ كِتَابَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ الْأَمْرُ بِالتَّقْوَى، وَفِيهِ النَّهْيُ عَنِ الرَّذَائِلِ، وَالْحَثُّ عَلَى الْفَضَائِلِ، وَفِيهِ التَّخْوِيفُ بِالنَّارِ، وَالتَّرغِيبُ فِي الْجَنَّةِ، وَفِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَفْهَمُهُ كُلُّ أَحَدٍ، فَهَذَا عَطَاءُ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ لِكُلِّ مَنْ سَمِعَهُ أَوْ تَلَاهُ. (*)

قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الْقَرِيبَ مِنْكُمْ، الَّذِي يُتْلَى عَلَيْكُمْ لَهُ وَظَائِفُ كُبْرَى، مِنْهَا: أَنَّهُ يَدُلُّ وَيُرْشِدُ إِلَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي هِيَ أَقْرَبُ إِلَى الْإِعْتِدَالِ الْكَامِلِ فِي كُلِّ سُلُوكٍ بَشَرِيٍّ، وَيُبَشِّرُ الْقُرْآنُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا صَاحِحًا صَادِقًا الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ بِأَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا يَنَالُونَهُ فِي الْجَنَّةِ. (*) (٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ؟» (المُحَاصِرَةُ الْعَاشِرَةُ)، الْأَرْبَعَاءُ ١٩ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٨ هـ | ١٤-٦-٢٠١٧ م.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الإسراء: ٩].

«لَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَقِيمِينَ عَلَى الْأَخْلَاقِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا وَدَعَا إِلَيْهَا الْجَنَّةَ وَالْكَرَامَةَ، مَعَ التَّوْفِيقِ فِي الدُّنْيَا، وَالْإِعَانَةِ عَلَى الْخَيْرِ، وَأَعَدَّ لِمَنْ حَادَ عَنْهَا وَاسْتَكْبَرَ عَنْهَا دَارَ الْهَوَانِ، وَهِيَ النَّارُ، وَيُنْسَى الْمَصِيرَ - نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ -».

وَالْأَخْلَاقُ الْإِسْلَامِيَّةُ هِيَ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ، أَوْ أَمَرَ بِهَا رَسُولُهُ الْكَرِيمُ مُحَمَّدٌ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، أَوْ مَدَحَ أَهْلَهَا، وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ، وَوَعَدَهُمْ عَلَيْهَا الْأَجْرَ الْعَظِيمَ وَالْفَوْزَ الْكَبِيرَ»^(١).

وَهَذِهِ بَعْضُ الْآيَاتِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ فِيهَا بِالْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ، وَالْحِصَالِ الْفَاضِلَةِ، قَالَ رَبُّنَا - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ -: ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٨٣].

﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: هَذَا مِنْ قَسْوَتِهِمْ؛ أَنْ كُلَّ أَمْرٍ أَمَرُوا بِهِ اسْتَعَصَوْا، فَلَا يَقْبَلُونَهُ إِلَّا بِالْإِيمَانِ الْغَلِيظَةِ وَالْعُهُودِ الْمُوثَقَةِ ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾: هَذَا أَمْرٌ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَنَهْيٌ عَنِ الشِّرْكِ بِهِ، وَهَذَا أَصْلُ الدِّينِ، فَلَا تُقْبَلُ الْأَعْمَالُ كُلُّهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا أَسَاسَهَا، فَهَذَا حَقُّ اللَّهِ - تَعَالَى - عَلَى عِبَادِهِ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أَي: أَحْسِنُوا بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، وَهَذَا يَعْمُ كُلَّ إِحْسَانٍ قَوْلِيٍّ وَفِعْلِيٍّ مِمَّا هُوَ إِحْسَانٌ إِلَيْهِمْ، وَفِيهِ النَّهْيُ عَنِ الْإِسَاءَةِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ، أَوْ عَدَمِ الْإِحْسَانِ وَالْإِسَاءَةِ؛ لِأَنَّ الْوَاجِبَ الْإِحْسَانَ، وَالْأَمْرَ بِالشَّيْءِ نَهْيٌ عَنِ ضِدِّهِ.

(١) مختصر من مقال: «الأخلاق الإسلامية» للشيخ العلامة: عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَلَكِنْ لِيَسْئَلَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطَ الْوَجْهِ وَحُسْنَ الْخُلُقِ!

وَلِلْإِحْسَانِ ضِدَّانِ: الْإِسَاءَةُ، وَهِيَ أَعْظَمُ جُرْمًا، وَتَرَكَ الْإِحْسَانَ بِدُونِ
إِسَاءَةٍ، وَهَذَا مُحَرَّمٌ؛ لَكِنْ لَا يَجِبُ أَنْ يَلْحَقَ بِالْأَوَّلِ، وَكَذَا يُقَالُ فِي صَلَاةِ
الْأَقْرَابِ، وَالْيَتَامَى، وَالْمَسَاكِينِ، وَتَفَاصِيلِ الْإِحْسَانِ لَا تَنْحَصِرُ بِالْعَدِّ، بَلْ
تَكُونُ بِالْحَدِّ.

ثُمَّ أَمَرَ بِالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عُمُومًا، فَقَالَ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ وَمِنْ
الْقَوْلِ الْحَسَنِ: أَمْرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيُهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَعْلِيمُهُمُ الْعِلْمَ، وَبَدَلُ
السَّلَامِ، وَالْبَشَاشَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ كَلَامٍ طَيِّبٍ.

وَلَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ لَا يَسَعُ النَّاسَ بِمَالِهِ؛ أَمَرَ بِأَمْرٍ يَقْدِرُ بِهِ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى
كُلِّ مَخْلُوقٍ، وَهُوَ الْإِحْسَانُ بِالْقَوْلِ، فَيَكُونُ فِي ضَمَنِ ذَلِكَ: النَّهْيُ عَنِ الْكَلَامِ
الْقَبِيحِ لِلنَّاسِ؛ حَتَّى لِلْكَفَّارِ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ
إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وَمِنْ أَدَبِ الْإِنْسَانِ الَّذِي أَدَّبَ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ: أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ نَزِيهًا فِي
أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، غَيْرَ فَاحِشٍ وَلَا بَدِيءٍ، وَلَا شَاتِمٍ، وَلَا مُخَاصِمٍ، بَلْ يَكُونُ حَسَنَ
الْخُلُقِ، وَاسِعَ الْحِلْمِ، مُجَامِلًا لِكُلِّ أَحَدٍ، صَبُورًا عَلَى مَا يَنَالُهُ مِنْ أَدَى الْخَلْقِ؛
امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ، وَرَجَاءً لِثَوَابِهِ.

ثُمَّ أَمْرُهُمْ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ مُتَضَمِّنَةً لِلْإِخْلَاصِ
لِلْمَعْبُودِ، وَالزَّكَاةَ مُتَضَمِّنَةً لِلْإِحْسَانِ إِلَى الْعَبِيدِ^(١).

(١) «تفسير السعدي» (ص ٥٧).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾

[المؤمنون: ٩٦].

«هَذَا مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِهَا، فَقَالَ: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ أَي: إِذَا أَسَاءَ إِلَيْكَ أَعْدَاؤُكَ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ فَلَا تُقَابِلُهُمْ بِالْإِسَاءَةِ، مَعَ أَنَّهُ يَجُوزُ مُعَاقَبَةُ الْمُسِيءِ بِمِثْلِ إِسَاءَتِهِ؛ وَلَكِنْ ادْفَعْ إِسَاءَتَهُمْ إِلَيْكَ بِالْإِحْسَانِ مِنْكَ إِلَيْهِمْ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ فَضْلٌ مِنْكَ عَلَى الْمُسِيءِ.

وَمِنْ مَصَالِحِ ذَلِكَ: أَنَّهُ تَخَفُ الْإِسَاءَةِ عَنْكَ فِي الْحَالِ وَفِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَأَنَّهُ ادْعَى لِجَلْبِ الْمُسِيءِ إِلَى الْحَقِّ، وَأَقْرَبُ إِلَى نَدَمِهِ وَأَسْفِهِ، وَرُجُوعِهِ بِالتَّوْبَةِ عَمَّا فَعَلَ، وَيَتَّصِفُ الْعَافِي بِصِفَةِ الْإِحْسَانِ، وَيَقْهَرُ بِذَلِكَ عَدُوَّهُ الشَّيْطَانَ، وَيَسْتَوْجِبُ الثَّوَابَ مِنَ الرَّبِّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ ٣٤ وَمَا يُلْقِنَهَا﴾ أَي: مَا يُوَفِّقُ لِهَذَا الْخُلُقِ الْجَمِيلِ ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥].

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ أَي: بِمَا يَقُولُونَ مِنَ الْأَقْوَالِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِلْكَفْرِ وَالتَّكْذِيبِ بِالْحَقِّ، قَدْ أَحَاطَ عَلِمْنَا بِذَلِكَ، وَقَدْ حَلِمْنَا عَنْهُمْ، وَأَمْهَلْنَاهُمْ، وَصَبَرْنَا عَلَيْهِمْ، وَالْحَقُّ لَنَا، وَتَكْذِيبُهُمْ لَنَا، فَأَنْتَ - يَا مُحَمَّدٌ - يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَصْبِرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ، وَتُقَابِلَهُمْ بِالْإِحْسَانِ، هَذِهِ وَظِيفَةُ الْعَبْدِ فِي مُقَابَلَةِ الْمُسِيءِ مِنَ الْبَشَرِ» (١).

(١) «تفسير السعدي» (ص ٥٥٨).

وَلَكِنْ لِيَسْأَلَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطَ الْوَجْهِ وَحُسْنَ الْخُلُقِ!

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣].

«وَهَذَا مِنْ لُطْفِهِ بِعِبَادِهِ؛ حَيْثُ أَمَرَهُمْ بِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ الْمَوْجِبَةِ لِلسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَالَ: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾، وَهَذَا أَمْرٌ بِكُلِّ كَلَامٍ يُقَرِّبُ إِلَى اللَّهِ؛ مِنْ قِرَاءَةٍ، وَذِكْرِ، وَعِلْمٍ، وَأَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ، وَنَهْيٍ عَنِ مُنْكَرٍ، وَكَلَامٍ حَسَنِ لَطِيفٍ مَعَ الْخَلْقِ عَلَى اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ، وَأَنَّهُ إِذَا دَارَ الْأَمْرُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ حَسَنَيْنِ؛ فَإِنَّهُ يُؤَمِّرُ بِإِثَارِ أَحْسَنِهِمَا إِنْ لَمْ يُمْكِنِ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا.

وَالْقَوْلُ الْحَسَنُ دَاعٍ لِكُلِّ خُلُقٍ جَمِيلٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ؛ فَإِنَّ مَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ مَلَكَ جَمِيعَ أَمْرِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ﴾ أَي: يَسْعَى بَيْنَ الْعِبَادِ بِمَا يُفْسِدُ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَدُنْيَاهُمْ، فَدَوَاءُ هَذَا أَلَّا يُطِيعُوهُ فِي الْأَقْوَالِ غَيْرِ الْحَسَنَةِ الَّتِي يَدْعُوهُمْ إِلَيْهَا، وَأَنْ يَلِينُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ؛ لِيَنْقَمَعَ الشَّيْطَانُ الَّذِي يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ؛ فَإِنَّهُ عَدُوَّهُمُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يُحَارِبُوهُ؛ فَإِنَّهُ يَدْعُوهُمْ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ.

وَأَمَّا إِخْوَانُهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ وَإِنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَسَعَى فِي الْعَدَاوَةِ فَإِنَّ الْحَزْمَ كُلَّ الْحَزْمِ السَّعْيِي فِي ضِدِّ عَدُوِّهِمْ، وَأَنْ يَقْتَمِعُوا أَنْفُسَهُمْ الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ، الَّتِي يَدْخُلُ الشَّيْطَانُ مِنْ قِبَلِهَا؛ فَبِذَلِكَ يُطِيعُونَ رَبَّهُمْ، وَيَسْتَقِيمُ أَمْرُهُمْ، وَيُهْدُونَ لِرُشْدِهِمْ» (١).

(١) «تفسير السعدي» (ص ٤٦٠).

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿﴾ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَحَدُّ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿﴾ [العنكبوت: ٤٦].

«يُنَهَى -تعالى- عَنْ مُجَادَلَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ إِذَا كَانَتْ مِنْ غَيْرِ بَصِيرَةٍ مِنَ الْمُجَادِلِ، أَوْ بِغَيْرِ قَاعِدَةٍ مَرْضِيَّةٍ، وَأَلَّا يُجَادِلُوا إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ؛ بِحُسْنِ خُلُقٍ، وَلُطْفٍ، وَلِيْنِ كَلَامٍ، وَدَعْوَةٍ إِلَى الْحَقِّ وَتَحْسِينِهِ، وَرَدِّ عَنِ الْبَاطِلِ وَتَهْجِينِهِ بِأَقْرَبِ طَرِيقٍ مُوَصَّلٍ لِلذِّكِّ، وَأَلَّا يَكُونَ الْقَصْدُ مِنْهَا مُجَرَّدَ الْمُجَادَلَةِ وَالْمُغَالَبَةِ، وَحُبِّ الْعُلُوِّ، بَلْ يَكُونُ الْقَصْدُ بَيَانَ الْحَقِّ وَهِدَايَةَ الْخَلْقِ؛ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ بِأَنْ ظَهَرَ مِنْ قَصْدِهِ وَحَالِهِ أَنَّهُ لَا إِرَادَةَ لَهُ فِي الْحَقِّ، وَإِنَّمَا يُجَادِلُ عَلَى وَجْهِ الْمُشَاغَبَةِ وَالْمُغَالَبَةِ، فَهَذَا لَا فَايْدَةَ فِي جِدَالِهِ؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْهَا ضَائِعٌ.

﴿﴾ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَحَدُّ ﴿﴾ أَي: وَلِتَكُنْ مُجَادَلَتُكُمْ لِأَهْلِ الْكِتَابِ مَبْنِيَّةً عَلَى الْإِيمَانِ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَأُنزِلَ إِلَيْهِمْ، وَعَلَى الْإِيمَانِ بِرَسُولِكُمْ وَرَسُولِهِمْ، وَعَلَى أَنَّ الْإِلَهَ وَاحِدٌ، وَلَا تَكُنْ مُنَازَرَتُكُمْ إِيَّاهُمْ عَلَى وَجْهِ يَحْصُلُ بِهِ الْقَدْحُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ، أَوْ بِأَحَدٍ مِنَ الرُّسُلِ، كَمَا يَفْعَلُهُ الْجَهْلَةُ عِنْدَ مُنَازَرَةِ الْخُصُومِ، يَقْدَحُ بِجَمِيعِ مَا مَعَهُمْ مِنْ حَقٍّ وَبَاطِلٍ، فَهَذَا ظُلْمٌ وَخُرُوجٌ عَنِ الْوَاجِبِ وَآدَابِ النَّظَرِ؛ فَإِنَّ الْوَاجِبَ أَنْ يَرُدَّ مَا مَعَ الْخَصْمِ مِنَ الْبَاطِلِ، وَيَقْبَلَ مَا مَعَهُ مِنَ الْحَقِّ، وَلَا يَرُدَّ الْحَقَّ لِأَجْلِ قَوْلِهِ وَلَوْ كَانَ كَافِرًا.

وَأَيْضًا فَإِنَّ بِنَاءَ مُنَازَرَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ عَلَى هَذَا الطَّرِيقِ فِيهِ إِلْزَامٌ لَهُمْ بِالْإِقْرَارِ بِالْقُرْآنِ وَبِالرُّسُولِ الَّذِي جَاءَ بِهِ؛ فَإِنَّهُ إِذَا تَكَلَّمَ فِي الْأُصُولِ الدِّيْنِيَّةِ الَّتِي اتَّفَقَتْ

وَلَكِنْ لَيْسَ عَنْهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ! —————

عَلَيْهَا الْأَنْبِيَاءُ وَالْكَتُبُ، وَتَقَرَّرَتْ عِنْدَ الْمُتَنَاطِرِينَ، وَثَبَتَتْ حَقَائِقُهَا عِنْدَهُمَا، وَكَانَتْ الْكَتُبُ السَّابِقَةُ وَالْمُرْسَلُونَ مَعَ الْقُرْآنِ وَمُحَمَّدٌ ﷺ قَدْ بَيَّنَّتْهَا، وَدَلَّتْ عَلَيْهَا، وَأَخْبَرَتْ بِهَا؛ فَإِنَّهُ يَلْزِمُ التَّصَدِيقُ بِالْكَتَبِ كُلِّهَا، وَالرُّسُلِ كُلِّهِمْ، وَهَذَا مِنْ حَصَائِصِ الْإِسْلَامِ.

فَأَمَّا أَنْ يُقَالَ: نُؤْمِنُ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ الْفُلَانِيُّ دُونَ الْكِتَابِ الْفُلَانِيِّ وَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي صَدَّقَ مَا قَبْلَهُ، فَهَذَا ظُلْمٌ وَهَوَى، وَهُوَ يَرْجِعُ إِلَى قَوْلِهِ بِالتَّكْذِيبِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَذَّبَ الْقُرْآنَ الدَّالَّ عَلَيْهَا، الْمُصَدِّقَ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ؛ فَإِنَّهُ مُكْذَّبٌ لِمَا زَعَمَ أَنَّهُ بِهِ مُؤْمِنٌ.

وَأَيْضًا فَإِنَّ كُلَّ طَرِيقٍ تَبَتُّ بِهِ نُبُوَّةُ أَيِّ نَبِيِّ كَانَ فَإِنَّ مِثْلَهَا وَأَعْظَمَ مِنْهَا دَالَّةٌ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَكُلُّ شُبْهَةٍ يُقَدِّحُ بِهَا فِي نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَإِنَّ مِثْلَهَا أَوْ أَعْظَمَ مِنْهَا يُمَكِّنُ تَوَجُّهَهَا إِلَى نُبُوَّةِ غَيْرِهِ، فَإِذَا ثَبَتَ بُطْلَانُهَا فِي غَيْرِهِ فَثُبُوتُ بُطْلَانِهَا فِي حَقِّهِ ﷺ أَظْهَرُ وَأَظْهَرُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ أَي: مُنْقَادُونَ مُسْتَسْلِمُونَ لِأَمْرِهِ، وَمَنْ آمَنَ بِهِ، وَاتَّخَذَهُ إِلَهًا، وَآمَنَ بِجَمِيعِ كُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَانْقَادَ لِلَّهِ، وَاتَّبَعَ رُسُلَهُ؛ فَهُوَ السَّعِيدُ، وَمَنْ انْحَرَفَ عَنِ هَذَا الطَّرِيقِ فَهُوَ الشَّقِيُّ» (١).

وَقَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٢٣) وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي

(١) «تفسير السعدي» (ص ٦٣٢).

بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو
حِطِّ عَظِيمٍ ﴿﴾ [فصلت: ٣٣-٣٥].

«هَذَا اسْتِنْفَاهٌ بِمَعْنَى النَّفْيِ الْمُتَقَرَّرِ، أَي: لَا أَحَدَ أَحْسَنُ قَوْلًا - أَي: كَلَامًا
وَطَرِيقَةً وَحَالَةً - مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ بِتَعْلِيمِ الْجَاهِلِينَ، وَوَعظِ الْغَافِلِينَ
وَالْمُعْرِضِينَ، وَمُجَادَلَةِ الْمُبْطِلِينَ، بِالْأَمْرِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهَا، وَالْحَثِّ
عَلَيْهَا، وَتَحْسِينِهَا مَهْمَا أَمَكْنَ، وَالزَّجْرُ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ، وَتَقْبِيحُهُ بِكُلِّ طَرِيقٍ
يُوجِبُ تَرْكَهُ؛ خُصُوصًا مِنْ هَذِهِ الدَّعْوَةِ إِلَى أَصْلِ دِينِ الْإِسْلَامِ وَتَحْسِينِهِ،
وَمُجَادَلَةِ أَعْدَائِهِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَالنَّهْيُ عَمَّا يُضَادُّهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ، وَالْأَمْرُ
بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ.

وَمِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ: تَحْيِيئُهُ إِلَى عِبَادِهِ بِذِكْرِ تَفَاصِيلِ نِعَمِهِ، وَسَعَةِ جُودِهِ،
وَكَمَالِ رَحْمَتِهِ، وَذِكْرِ أَوْصَافِ كَمَالِهِ وَنُعُوتِ جَلَالِهِ.

وَمِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ: التَّرْغِيبُ فِي اقْتِبَاسِ الْعِلْمِ وَالْهُدَى مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ
رَسُولِهِ، وَالْحَثُّ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ طَرِيقٍ مُوَصَّلٍ إِلَيْهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ: الْحَثُّ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى عُمُومِ الْخَلْقِ،
وَمُقَابَلَةِ الْمُسِيءِ بِالْإِحْسَانِ، وَالْأَمْرُ بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ.

وَمِنْ ذَلِكَ: الْوَعظُ لِعُمُومِ النَّاسِ فِي أَوْقَاتِ الْمَوَاسِمِ، وَالْعَوَارِضِ،
وَالْمَصَائِبِ بِمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ الْحَالَ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا تَنْحَصِرُ أَفْرَادُهُ مِمَّا
تَشْمَلُهُ الدَّعْوَةُ إِلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ، وَالتَّرْهيبُ مِنَ جَمِيعِ الشَّرِّ.

وَلَكِنْ لِيَسْغُفَّهُمْ مِنْكُمْ بِسَطِّ الْوَجْهِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ! —————

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أَي: مَعَ دَعْوَتِهِ الْخَلْقَ إِلَى اللَّهِ بَادِرَ هُوَ بِنَفْسِهِ إِلَى امْتِثَالِ أَمْرِ اللَّهِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي يُرْضِي رَبَّهُ، ﴿وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أَي: الْمُتَقَادِبِينَ لِأَمْرِهِ، السَّالِكِينَ فِي طَرِيقِهِ، وَهَذِهِ الْمَرْتَبَةُ تَمَامُهَا لِلصَّادِقِينَ الَّذِينَ عَمِلُوا عَلَى تَكْمِيلِ أَنْفُسِهِمْ، وَتَكْمِيلِ غَيْرِهِمْ، وَحَصَلَتْ لَهُمُ الْوِرَاثَةُ التَّامَّةُ مِنَ الرُّسُلِ، كَمَا أَنَّ مِنْ أَشْرِّ النَّاسِ قَوْلًا: مَنْ كَانَ مِنْ دُعَاةِ الضَّالِّينَ السَّالِكِينَ لِسُبُلِهِ.

وَبَيْنَ هَاتَيْنِ الْمَرْتَبَتَيْنِ الْمُتَبَايِنَتَيْنِ اللَّتَيْنِ ارْتَفَعَتْ إِحْدَاهُمَا إِلَى أَعْلَى عِلِّيِّينَ وَنَزَلَتْ الْأُخْرَى إِلَى أَسْفَلَ سَافِلِينَ مَرَاتِبُ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ، وَكُلُّهَا مَعْمُورَةٌ بِالْخَلْقِ، ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢].

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ أَي: لَا يَسْتَوِي فِعْلُ الْحَسَنَاتِ وَالطَّاعَاتِ لِأَجْلِ رِضَا اللَّهِ -تَعَالَى-، وَلَا فِعْلُ السَّيِّئَاتِ وَالْمَعَاصِي الَّتِي تُسَخِّطُهُ وَلَا تُرْضِيهِ، وَلَا يَسْتَوِي الْإِحْسَانُ إِلَى الْخَلْقِ، وَلَا الْإِسَاءَةُ إِلَيْهِمْ، لَا فِي ذَاتِهَا، وَلَا فِي وَصْفِهَا، وَلَا فِي جَزَائِهَا ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]!؟

ثُمَّ أَمَرَ بِإِحْسَانٍ خَاصٍّ لَهُ مَوْقِعٌ كَبِيرٌ، وَهُوَ الْإِحْسَانُ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ، فَقَالَ: ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أَي: فَإِذَا أَسَاءَ إِلَيْكَ مُسِيءٌ مِنَ الْخَلْقِ -خُصُوصًا مَنْ لَهُ حَقٌّ كَبِيرٌ عَلَيْكَ؛ كَالْأَقَارِبِ، وَالْأَصْحَابِ، وَنَحْوِهِمْ- إِسَاءَةً بِالْقَوْلِ أَوْ بِالْفِعْلِ؛ فَقَابِلُهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، فَإِنْ قَطَعَكَ فَصِلْهُ، وَإِنْ ظَلَمَكَ فَاعْفُ عَنْهُ، وَإِنْ

تَكَلَّمْ فِيكَ غَائِبًا أَوْ حَاضِرًا فَلَا تُقَابِلْهُ، بَلِ اعْفُ عَنْهُ، وَعَامِلْهُ بِالْقَوْلِ اللَّيِّنِ، وَإِنْ هَجَرَكُ، وَتَرَكَ خِطَابَكَ؛ فَطَيِّبْ لَهُ الْكَلَامَ، وَابْذُلْ لَهُ السَّلَامَ، فَإِذَا قَابَلْتَ الْإِسَاءَةَ بِالْإِحْسَانِ؛ حَصَلَتْ فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ أَي: كَأَنَّهُ قَرِيبٌ شَفِيقٌ.

﴿وَمَا يُلْقَاهَا﴾ أَي: وَمَا يُوقَفُ لِهَذِهِ الْخِصْلَةِ الْحَمِيدَةِ ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ نُفُوسَهُمْ عَلَى مَا تَكَرَّرَ، وَأَجْبَرُوهَا عَلَى مَا يُحِبُّهُ اللهُ؛ فَإِنَّ النُّفُوسَ مَجْبُولَةٌ عَلَى مُقَابَلَةِ الْمُسِيءِ بِإِسَاءَتِهِ، وَعَدَمِ الْعَفْوِ عَنْهُ؛ فَكَيْفَ بِالْإِحْسَانِ!!؟

فَإِذَا صَبَرَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ، وَامْتَثَلَ أَمْرَ رَبِّهِ، وَعَرَفَ جَزِيلَ الثَّوَابِ، وَعَلِمَ أَنَّ مُقَابَلَتَهُ لِلْمُسِيءِ بِجِنْسِ عَمَلِهِ لَا يُفِيدُهُ شَيْئًا، وَلَا يَزِيدُ الْعَدَاوَةَ إِلَّا شِدَّةً، وَأَنَّ إِحْسَانَهُ إِلَيْهِ لَيْسَ بِوَاضِعِ قَدْرِهِ، بَلْ مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ؛ هَانَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ، وَفَعَلَ ذَلِكَ مُتَلَذِّذًا مُسْتَحْلِيًا لَهُ.

﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾؛ لِكَوْنِهَا مِنْ خِصَالِ خَوَاصِّ الْخُلُقِ الَّتِي يَنَالُ بِهَا الْعَبْدُ الرَّفْعَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، الَّتِي هِيَ مِنْ أَكْبَرِ خِصَالِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ» (١).

وَذَكَرَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى جُمْلَةً مِنْ أَخْلَاقِ وَخِصَالِ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، قَالَ تَعَالَى:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا

وَلَكِنْ لِيَسْغُفَّهُمْ مِنْكُمْ بَسْطَ الْوَجْهِ وَحُسْنَ الْخُلُقِ! —————

عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُؤْا عَلَيْهَا ضُمًّا وَعُمِيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فِرَّةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا الْمُنْفِقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿الفرقان: ٦٣-٧٦﴾.

«الْعُبُودِيَّةُ لِلَّهِ نَوْعَانِ: عُبُودِيَّةٌ لِرُبُوبِيَّتِهِ، فَهَذِهِ يَشْتَرِكُ فِيهَا سَائِرُ الْخَلْقِ؛ مُسْلِمُهُمْ وَكَافِرُهُمْ، بَرُّهُمْ وَفَاجِرُهُمْ، فَكُلُّهُمْ عِبِيدٌ لِلَّهِ، مَرْبُوبُونَ مُدَبَّرُونَ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَاكِ الرَّحْمَنُ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣].

وَعُبُودِيَّةٌ لِأُلُوهِيَّتِهِ وَعِبَادَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَهِيَ عُبُودِيَّةٌ أَنْبِيَاءِهِ وَأَوْلِيَائِهِ، وَهِيَ الْمُرَادُ هُنَا؛ وَلِهَذَا أَضَافَهَا إِلَى اسْمِهِ (الرَّحْمَنِ)، إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُمْ إِنَّمَا وَصَلُوا إِلَى هَذِهِ الْحَالِ بِسَبَبِ رَحْمَتِهِ، فَذَكَرَ أَنَّ صِفَاتِهِمْ أَكْمَلُ الصِّفَاتِ، وَنُعُوتُهُمْ أَفْضَلُ النُّعُوتِ، فَوَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أَي: سَاكِنِينَ مُتَوَاضِعِينَ لِلَّهِ وَالْخَلْقِ، فَهَذَا وَصْفٌ لَهُمْ بِالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ وَالتَّوَاضُعِ لِلَّهِ وَلِعِبَادِهِ، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ أَي: خِطَابَ جَهْلٍ؛ بِدَلِيلِ إِضَافَةِ الْفِعْلِ وَإِسْنَادِهِ لِهَذَا

الْوَصْفِ ﴿قَالُوا سَلَمًا﴾ أَي: خَاطَبُوهُمْ خِطَابًا يَسْلَمُونَ فِيهِ مِنَ الْإِثْمِ، وَيَسْلَمُونَ مِنْ مُقَابَلَةِ الْجَاهِلِ بِجَهْلِهِ، وَهَذَا مَدْحٌ لَهُمْ بِالْحِلْمِ الْكَثِيرِ، وَمُقَابَلَةُ الْمُسِيِّءِ بِالْإِحْسَانِ، وَالْعَفْوِ عَنِ الْجَاهِلِ، وَرِزَانَةِ الْعَقْلِ الَّذِي أَوْصَلَهُمْ إِلَى هَذِهِ الْحَالِ.

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾ أَي: يُكْثِرُونَ مِنْ صَلَاةِ اللَّيْلِ، مُخْلِصِينَ فِيهَا لِرَبِّهِمْ، مُتَدَلِّلِينَ لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿[السجدة: ١٦-١٧].﴾

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ أَي: اذْفَعُهُ عَنَّا بِالْعِصْمَةِ مِنْ أَسْبَابِهِ، وَمَغْفِرَةِ مَا وَقَعَ مِنَّا مِمَّا هُوَ مُقْتَضٍ لِلْعَذَابِ ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أَي: مُلَازِمًا لِأَهْلِهَا بِمَنْزِلَةِ مُلَازِمَةِ الْغَرِيمِ لِغَرِيمِهِ، ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ وَهَذَا مِنْهُمْ عَلَى وَجْهِ التَّضَرُّعِ لِرَبِّهِمْ، وَبَيَانِ شِدَّةِ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ، وَأَنََّّهُمْ لَيْسَ فِي طَاقَتِهِمْ احْتِمَالُ هَذَا الْعَذَابِ، وَلِيَتَذَكَّرُوا مِنَّةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ؛ فَإِنَّ صَرْفَ الشُّدَّةِ بِحَسَبِ شِدَّتِهَا وَفِظَاعَتِهَا يَعْظُمُ وَقَعُهَا، وَيَشْتَدُّ الْفَرَحُ بِصَرْفِهَا.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا﴾ النَّفَقَاتِ الْوَاجِبَةِ وَالْمُسْتَحَبَّةِ ﴿لَمْ يُسْرِفُوا﴾ بِأَنْ يَزِيدُوا عَلَى الْحَدِّ فَيَدْخُلُوا فِي قِسْمِ التَّبْدِيرِ، ﴿وَلَمْ يَقْرَأُوا﴾ فَيَدْخُلُوا فِي بَابِ الْبُخْلِ وَالشُّحِّ، وَإِهْمَالِ الْحُقُوقِ الْوَاجِبَةِ، ﴿وَكَانَ﴾ انْفِاقُهُمْ ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾، بَيْنَ الْإِسْرَافِ وَالتَّقْتِيرِ ﴿قَوَامًا﴾ يَبْذُلُونَ فِي الْوَاجِبَاتِ مِنَ الزَّكَّاتِ، وَالْكَفَّارَاتِ، وَالنَّفَقَاتِ الْوَاجِبَةِ، وَفِيمَا يَنْبَغِي عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَنْبَغِي مِنْ غَيْرِ ضَرَرٍ وَلَا ضِرَارٍ، وَهَذَا مِنْ عَدْلِهِمْ وَاقْتِصَادِهِمْ.

وَلَكِنْ لِيَسْأَلَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ! —————

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ بَلْ يَعْبُدُونَهُ وَحْدَهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ، مُقْبِلِينَ عَلَيْهِ، مُعْرِضِينَ عَمَّا سِوَاهُ، ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾: وَهِيَ نَفْسُ الْمُسْلِمِ وَالْكَافِرِ الْمُعَاهِدِ ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾؛ كَقَتْلِ النَّفْسِ بِالنَّفْسِ، وَقَتْلِ الزَّانِي الْمُحْصَنِ، وَالْكَافِرِ الَّذِي يَحِلُّ قَتْلُهُ، ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ بَلْ يَحْفَظُونَ فُرُوجَهُمْ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أَي: الشَّرْكَ بِاللَّهِ، أَوْ قَتَلَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ بِغَيْرِ حَقٍّ، أَوْ الزَّانَا؛ فَسَوْفَ ﴿يَلْقَىٰ أَثَامًا﴾، ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿يُضَعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُخْلَدُ فِيهِ﴾ أَي: فِي الْعَذَابِ ﴿مُهَانًا﴾؛ فَالْوَعِيدُ بِالْخُلُودِ لِمَنْ فَعَلَهَا كُلَّهَا ثَابِتٌ لَا شَكَّ فِيهِ، وَكَذَلِكَ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ، وَكَذَلِكَ الْوَعِيدُ بِالْعَذَابِ الشَّدِيدِ عَلَىٰ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ؛ لِكَوْنِهَا إِمَّا شِرْكَ، وَإِمَّا مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ.

وَأَمَّا خُلُودُ الْقَاتِلِ وَالزَّانِي فِي الْعَذَابِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَتَنَاوَلُهُ الْخُلُودُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ دَلَّتِ النُّصُوصُ الْقُرْآنِيَّةُ وَالسُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ أَنَّ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ سَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، وَلَا يَخْلَدُ فِيهَا مُؤْمِنٌ وَلَوْ فَعَلَ مِنَ الْمَعَاصِي مَا فَعَلَ، وَنَصَّ -تَعَالَى- عَلَىٰ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ؛ لِأَنَّهَا مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؛ فَالشَّرْكَ فِيهِ فَسَادُ الْأَدْيَانِ، وَالْقَتْلُ فِيهِ فَسَادُ الْأَبْدَانِ، وَالزَّانَا فِيهِ فَسَادُ الْأَعْرَاضِ.

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ عَنْ هَذِهِ الْمَعَاصِي وَغَيْرِهَا بِأَنْ أَقْلَعَ عَنْهَا فِي الْحَالِ، وَنَدِمَ عَلَىٰ مَا مَضَىٰ لَهُ مِنْ فِعْلِهَا، وَعَزَمَ عَزْمًا جَازِمًا أَلَّا يَعُودَ، ﴿وَأَمَّنْ﴾ بِاللَّهِ إِيْمَانًا صَحِيحًا يَقْتَضِي تَرْكَ الْمَعَاصِي، وَفِعْلَ الطَّاعَاتِ، ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ مِمَّا أَمَرَ بِهِ الشَّارِعُ إِذَا قَصَدَ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ؛ ﴿فَأُولَٰئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ أَي:

تَبَدَّلَ أَفْعَالَهُمْ وَأَقْوَالَهُمُ الَّتِي كَانَتْ مُسْتَعِدَّةً لِعَمَلِ السَّيِّئَاتِ.. تَبَدَّلَ حَسَنَاتٍ، فَيَتَبَدَّلُ شِرْكُهُمْ إِيمَانًا، وَمَعْصِيَتُهُمْ طَاعَةً، وَتَبَدَّلَ نَفْسُ السَّيِّئَاتِ الَّتِي عَمَلُوهَا، ثُمَّ أَحَدُثُوا عَنْ كُلِّ ذَنْبٍ مِنْهَا تَوْبَةً وَإِنَابَةً وَطَاعَةً؛ تَبَدَّلَ حَسَنَاتٍ، كَمَا هُوَ ظَاهِرُ الْآيَةِ، وَوَرَدَ فِي ذَلِكَ حَدِيثُ الرَّجُلِ الَّذِي حَاسَبَهُ اللَّهُ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِ، فَعَدَّدَهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ أَبَدَلَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَقَالَ: «يَا رَبِّ! إِنَّ لِي سَيِّئَاتٍ لَا أَرَاهَا هَاهُنَا»، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لِمَنْ تَابَ، يَغْفِرُ الذُّنُوبَ الْعَظِيمَةَ، ﴿رَحِيمًا﴾ بِعِبَادِهِ؛ حَيْثُ دَعَاهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ بَعْدَ مُبَارَزَتِهِ بِالْعُظَائِمِ، ثُمَّ وَفَّقَهُمْ لَهَا، ثُمَّ قَبِلَهَا مِنْهُمْ.

﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَنْوِبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ أَي: فَلْيَعْلَمْ أَنَّ تَوْبَتَهُ فِي غَايَةِ الْكَمَالِ؛ لِأَنَّهَا رُجُوعٌ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُوَصِّلِ إِلَى اللَّهِ، الَّذِي هُوَ عَيْنُ سَعَادَةِ الْعَبْدِ وَفَلَاحِهِ؛ فَلْيَخْلِصْ فِيهَا، وَلْيَخْلِصْهَا مِنْ شَوَائِبِ الْأَغْرَاضِ الْفَاسِدَةِ، فَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا: الْحَثُّ عَلَى تَكْمِيلِ التَّوْبَةِ، وَإِيقَاعِهَا عَلَى أَفْضَلِ الْوُجُوهِ وَأَجْلَهَا؛ لِيَقْدَمَ عَلَى مَنْ تَابَ إِلَيْهِ فَيُوفِّيهِ أَجْرَهُ بِحَسَبِ كَمَالِهَا.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أَي: لَا يَحْضُرُونَ الزُّورَ، أَي: الْقَوْلَ وَالْفِعْلَ الْمُحَرَّمَ، فَيَجْتَنِبُونَ جَمِيعَ الْمَجَالِسِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى الْأَقْوَالِ الْمُحَرَّمَةِ، أَوِ الْأَفْعَالِ الْمُحَرَّمَةِ؛ كَالخَوْضِ فِي آيَاتِ اللَّهِ، وَالْجِدَالِ الْبَاطِلِ، وَالْغَيْبَةِ، وَالنَّمِيمَةِ، وَالسَّبِّ، وَالْقَذْفِ، وَالِاسْتِهْزَاءِ، وَالْغِنَاءِ الْمُحَرَّمَ، وَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَفُرْشِ الْحَرِيرِ، وَالصُّورِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَإِذَا كَانُوا لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ؛ فَمِنْ بَابِ أَوْلَى وَأَخْرَى إِلَّا

وَلَكِنْ لِيَسْغُفَّهُمْ مِنْكُمْ بَسْطَ الْوَجْهِ وَحُسْنَ الْخُلُقِ! —————

يَقُولُوهُ وَيَفْعَلُوهُ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ دَاخِلَةٌ فِي قَوْلِ الزُّورِ، تَدْخُلُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِالْأَوْلَوِيَّةِ.

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾: وَهُوَ الْكَلَامُ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ، وَلَا فِيهِ فَايِدَةٌ دِينِيَّةٌ وَلَا دُنْيَوِيَّةٌ؛ كَكَلَامِ السَّفَهَاءِ وَنَحْوِهِمْ؛ ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ أَي: نَزَّهُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَكْرَمُواهَا عَنِ الْخَوْضِ فِيهِ، وَرَأَوْا أَنَّ الْخَوْضَ فِيهِ وَإِنْ كَانَ لَا إِثْمَ فِيهِ فَإِنَّهُ سَفَهٌ وَنَقْصٌ لِلْإِنْسَانِيَّةِ وَالْمُرُوءَةِ، فَرَبُّوْا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْهُ.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ لَا يَقْصِدُونَ حُضُورَهُ وَلَا سَمَاعَهُ، وَلَكِنْ عِنْدَ الْمُصَادَفَةِ الَّتِي مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ يُكْرِمُونَ أَنْفُسَهُمْ عَنْهُ.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ الَّتِي أَمَرَهُمْ بِاسْتِمَاعِهَا، وَالِاهْتِدَاءِ بِهَا؛ ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ أَي: لَمْ يَقَابِلُوهَا بِالْإِعْرَاضِ عَنْهَا، وَالصَّمَمِ عَنْ سَمَاعِهَا، وَصَرْفِ النَّظَرِ وَالْقُلُوبِ عَنْهَا، كَمَا يَفْعَلُهُ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهَا وَلَمْ يُصَدِّقْ، وَإِنَّمَا حَالُهُمْ فِيهَا وَعِنْدَ سَمَاعِهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السجدة: ١٥]: يُقَابِلُونَهَا بِالْقَبُولِ، وَالِافْتِقَارِ إِلَيْهَا، وَالِانْقِيَادِ وَالتَّسْلِيمِ لَهَا، وَتَجِدُ عِنْدَهُمْ آذَانًا سَامِعَةً، وَقُلُوبًا وَاعِيَةً، فَيَزِدَادُ بِهَا إِيمَانُهُمْ، وَيَتَمُّ بِهَا إِيقَانُهُمْ، وَتُحَدِّثُ لَهُمْ نَشَاطًا، وَيَفْرَحُونَ بِهَا سُرُورًا وَاغْتِبَاطًا.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا﴾ أَي: قُرَانِنَا؛ مِنْ أَصْحَابِ، وَأَقْرَانِ، وَزَوْجَاتٍ ﴿وَدَّرَيْلِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ أَي: تَقَرُّ بِهِمْ أَعْيُنُنَا، وَإِذَا اسْتَقْرَأْنَا

حَالَهُمْ وَصِفَاتِهِمْ عَرَفْنَا مِنْ هِمَمِهِمْ وَعُلُوِّ مَرْتَبَتِهِمْ أَنَّهُمْ لَا تَقْرَأُ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى يَرَوْهُمْ مُطِيعِينَ لِرَبِّهِمْ، عَالِمِينَ عَامِلِينَ، وَهَذَا كَمَا أَنَّهُ دُعَاءٌ لِأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ فِي صَلَاحِهِمْ فَإِنَّهُ دُعَاءٌ لَأَنْفُسِهِمْ؛ لِأَنَّ نَفْعَهُ يَعُودُ عَلَيْهِمْ؛ وَلِهَذَا جَعَلُوا ذَلِكَ هِبَةً لَهُمْ، فَقَالُوا: ﴿هَبْ لَنَا﴾؛ بَلْ دُعَاؤُهُمْ يَعُودُ إِلَى نَفْعِ عُمُومِ الْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّ بِصَلَاحِ مَنْ ذَكَرَ يَكُونُ سَبَبًا لِصَلَاحِ كَثِيرٍ مِمَّنْ يَتَعَلَّقُ بِهِمْ وَيَتَنَفَّعُ بِهِمْ.

﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أَي: أَوْصَلْنَا يَا رَبَّنَا إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ الْعَالِيَةِ؛ دَرَجَةِ الصَّادِقِينَ وَالْكَمَّلِ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، وَهِيَ دَرَجَةُ الْإِمَامَةِ فِي الدِّينِ، وَأَنْ يَكُونُوا قُدْوَةً لِلْمُتَّقِينَ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، يُقْتَدَى بِأَفْعَالِهِمْ، وَيُطْمَئِنُّ لِأَقْوَالِهِمْ، وَيَسِيرُ أَهْلُ الْخَيْرِ خَلْفَهُمْ، فَيَهْدُونَ وَيَهْتَدُونَ.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الدُّعَاءَ بِيُلُوغِ شَيْءٍ دُعَاءٌ بِمَا لَا يَتِمُّ إِلَّا بِهِ، وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ -دَرَجَةُ الْإِمَامَةِ فِي الدِّينِ- لَا تَتِمُّ إِلَّا بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، فَهَذَا الدُّعَاءُ يَسْتَلْزِمُ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَأَقْدَارِهِ الْمُؤَلِّمَةِ، وَعَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَمِنَ الْعِلْمِ التَّامِّ الَّذِي يُوصِلُ صَاحِبَهُ إِلَى دَرَجَةِ الْيَقِينِ خَيْرًا كَثِيرًا وَعَطَاءً جَزِيلًا، وَأَنْ يَكُونُوا فِي أَعْلَى مَا يُمَكِّنُ مِنْ دَرَجَاتِ الْخَلْقِ بَعْدَ الرُّسُلِ.

وَلِهَذَا لَمَّا كَانَتْ هِمَمُهُمْ وَمَطَالِبُهُمْ عَالِيَةً؛ كَانَ الْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، فَجَازَاهُمْ بِالْمَنَازِلِ الْعَالِيَاتِ، فَقَالَ: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ أَي: الْمَنَازِلَ الرَّفِيعَةَ، وَالْمَسَاكِينَ الْأَنْبِقَةَ الْجَامِعَةَ لِكُلِّ مَا يُشْتَهَى وَتَلَذُّهُ الْأَعْيُنِ؛ وَذَلِكَ بِسَبَبِ صَبْرِهِمْ نَالُوا مَا نَالُوا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ

وَلَكِنْ لِيَسْغُفَّهُمْ مِنْكُمْ بَسْطَ الْوَجْهِ وَحُسْنَ الْخُلُقِ!

بَابِ ﴿٢٣﴾ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿الرعد: ٢٣ - ٢٤﴾؛ وَلِهَذَا قَالَ هُنَا: ﴿وَيُلْقُونَ فِيهَا تِجَّةً وَسَلَامًا﴾ مِنْ رَبِّهِمْ، وَمِنْ مَلَائِكَتِهِ الْكَرَامِ، وَمِنْ بَعْضِ عَلَى بَعْضٍ، وَيَسْلَمُونَ مِنْ جَمِيعِ الْمُنْغَصَاتِ وَالْمُكَدَّرَاتِ.

وَالْحَاصِلُ: أَنَّ اللَّهَ وَصَفَهُمْ بِالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ، وَالتَّوَاضُّعِ لَهُ وَلِعِبَادِهِ، وَحُسْنِ الْأَدَبِ، وَالْحِلْمِ، وَسِعَةِ الْخُلُقِ، وَالْعَفْوِ عَنِ الْجَاهِلِينَ، وَالْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ، وَمُقَابَلَةِ إِسَاءَتِهِمْ بِالْإِحْسَانِ، وَقِيَامِ الدَّلِيلِ وَالْإِخْلَاصِ فِيهِ، وَالْخَوْفِ مِنَ النَّارِ، وَالتَّضَرُّعِ لِرَبِّهِمْ أَنْ يُنَجِّيَهُمْ مِنْهَا، وَإِخْرَاجِ الْوَاجِبِ وَالْمُسْتَحَبِّ فِي النِّفَقَاتِ، وَالْإِقْتِصَادِ فِي ذَلِكَ - وَإِذَا كَانُوا مُقْتَصِدِينَ فِي الْإِنْفَاقِ الَّذِي جَرَتْ الْعَادَةُ بِالتَّفْرِيطِ فِيهِ أَوْ الْإِفْرَاطِ؛ فَاقْتَصَادُهُمْ وَتَوَسُّطُهُمْ فِي غَيْرِهِ مِنْ بَابِ أَوْلَى -، وَالسَّلَامَةِ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، وَالِاتِّصَافِ بِالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ فِي عِبَادَتِهِ، وَالْعِفَّةِ عَنِ الدَّمَاءِ وَالْأَعْرَاضِ، وَالتَّوْبَةِ عِنْدَ صُدُورِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

وَأَنَّهُمْ لَا يَحْضُرُونَ مَجَالِسَ الْمُنْكَرِ وَالْفُسُوقِ الْقَوْلِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ، وَلَا يَفْعَلُونَهَا بَأَنْفُسِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَتَنَزَّهُونَ مِنَ اللَّغْوِ، وَالْأَفْعَالِ الرَّدِيَّةِ الَّتِي لَا خَيْرَ فِيهَا، وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ مَرُوءَتَهُمْ، وَإِنْسَانِيَّتَهُمْ، وَكَمَالَهُمْ، وَرَفْعَةَ أَنْفُسِهِمْ عَنْ كُلِّ خَسِيسٍ قَوْلِيٍّ وَفِعْلِيٍّ، وَأَنَّهُمْ يُقَابِلُونَ آيَاتِ اللَّهِ بِالقَبُولِ لَهَا، وَالتَّفَهُمِ لِمَعَانِيهَا، وَالْعَمَلِ بِهَا، وَالْإِجْتِهَادِ فِي تَنْفِيذِ أَحْكَامِهَا، وَأَنَّهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ - تَعَالَى - بِأَكْمَلِ الدُّعَاءِ فِي الدُّعَاءِ الَّذِي يَتَنَفَّعُونَ بِهِ، وَيَتَنَفَّعُ بِهِ مَنْ يَتَعَلَّقُ بِهِمْ، وَيَتَنَفَّعُ بِهِ الْمُسْلِمُونَ مِنْ صَلَاحِ أَرْوَاجِهِمْ وَدَرِّيَّتِهِمْ، وَمِنْ لَوَازِمِ ذَلِكَ: سَعْيُهُمْ فِي تَعْلِيمِهِمْ، وَوَعظِهِمْ، وَنُصْحِهِمْ؛ لِأَنَّ مَنْ حَرَصَ عَلَى شَيْءٍ، وَدَعَا اللَّهَ بِهِ؛ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُتَسَبِّبًا فِيهِ، وَأَنَّهُمْ دَعَوْا اللَّهَ بِبُلُوغِ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ الْمُمَكِّنَةِ لَهُمْ، وَهِيَ دَرَجَةُ الْإِمَامَةِ وَالصِّدِّيقِيَّةِ.

فَلِلَّهِ! مَا أَعْلَىٰ هَذِهِ الصِّفَاتِ، وَأَرْفَعَ هَذِهِ الِهِمَمِ، وَأَجَلَّ هَذِهِ الْمَطَالِبِ،
وَأَزْكَىٰ تِلْكَ النُّفُوسِ، وَأَطْهَرَ تِلْكَ الْقُلُوبِ، وَأَصْفَىٰ هَؤُلَاءِ الصَّفْوَةَ، وَأَتْقَىٰ
هَؤُلَاءِ السَّادَةَ!

وَلِلَّهِ! فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَنِعَمَتُهُ وَرَحْمَتُهُ الَّتِي جَلَّلَتْهُمْ، وَلُطْفُهُ الَّذِي أَوْصَلَهُمْ
إِلَىٰ هَذِهِ الْمَنَازِلِ!

وَلِلَّهِ! مِنَّةُ اللَّهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ أَنْ بَيَّنَّ لَهُمْ أَوْصَافَهُمْ، وَنَعَتَ لَهُمْ هَيْئَاتِهِمْ، وَبَيَّنَّ
لَهُمْ هِمَمَهُمْ، وَأَوْضَحَ لَهُمْ أَجْوَرَهُمْ؛ لِيَشْتَاقُوا إِلَى الْإِتِّصَافِ بِأَوْصَافِهِمْ، وَيَبْذُلُوا
جُهِدَهُمْ فِي ذَلِكَ، وَيَسْأَلُوا الَّذِي مَنْ عَلَيْهِمْ وَأَكْرَمَهُمْ، الَّذِي فَضَّلَهُ فِي كُلِّ زَمَانٍ
وَمَكَانٍ وَفِي كُلِّ وَقْتٍ وَأَوَانٍ أَنْ يَهْدِيَهُمْ كَمَا هَدَاهُمْ، وَيَتَوَلَّاهُمْ بِتَرْبِيَّتِهِ الْخَاصَّةِ
كَمَا تَوَلَّاهُمْ.

فَاللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، وَإِلَيْكَ الْمَشْتَكَى، وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ، وَبِكَ الْمُسْتَعَاثُ،
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ، لَا نَمْلِكُ لِأَنْفُسِنَا نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، وَلَا نَقْدِرُ عَلَىٰ مِثْقَالِ
ذَرَّةٍ مِنَ الْخَيْرِ إِنْ لَمْ تُبَسِّرْ ذَلِكَ لَنَا؛ فَإِنَّا ضِعْفَاءُ عَاجِزُونَ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، نَشْهَدُ أَنَّكَ
إِنْ وَكَلْتَنَا إِلَىٰ أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ؛ وَكَلْتَنَا إِلَىٰ ضِعْفٍ وَعَجْزٍ وَخَطِيئَةٍ، فَلَا نَثِقُ يَا
رَبَّنَا إِلَّا بِرَحْمَتِكَ الَّتِي بِهَا خَلَقْتَنَا، وَرَزَقْتَنَا، وَأَنْعَمْتَ عَلَيْنَا بِمَا أَنْعَمْتَ مِنَ النِّعَمِ
الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَصَرَفْتَ عَنَّا مِنَ النِّقَمِ، فَارْحَمْنَا رَحْمَةً تُغْنِينَا بِهَا عَنْ رَحْمَةِ
مَنْ سِوَاكَ؛ فَلَا خَابَ مَنْ سَأَلَكَ وَرَجَاكَ»^(١).

(١) «تفسير السعدي» (ص ٥٨٧).

وَلَكِنْ لِيَسْغَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ! —————

وَهَذِهِ وَصَايَا وَصَّيَ بِهَا لُقْمَانَ ابْنَهُ، تَجْمَعُ أُمَّهَاتِ الْحِكْمِ، وَتَسْتَلْزِمُ مَا لَمْ يُذَكَّرْ مِنْهَا، وَكُلُّ وَصِيَّةٍ يُقْرَنُ بِهَا مَا يَدْعُو إِلَىٰ فِعْلِهَا إِنْ كَانَتْ أَمْرًا، وَإِلَىٰ تَرْكِهَا إِنْ كَانَتْ نَهْيًا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنْ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

يَا بُنَيَّ الْقَرِيبَ مِنْ قَلْبِي وَالْحَبِيبَ لِي! إِنِّي أَوْصِيكَ بِهَذِهِ الْوَصَايَا الثَّمَانِيَّةِ بَعْدَ أَنْ أَوْصَيْتَكَ بِعَهْدٍ مُؤَكَّدٍ مُشَدَّدٍ أَلَّا تُشْرِكَ بِاللَّهِ:

* الْوَصِيَّةُ الْأُولَى: أَدِّ الصَّلَاةَ تَامَةً بَارِكَانِهَا، وَشُرُوطِهَا، وَوَاجِبَاتِهَا.

الْوَصِيَّةُ الثَّانِيَّةُ: وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ الَّذِي يَعْرِفُهُ الشَّرْعُ وَالْعَقْلُ.

الْوَصِيَّةُ الثَّلَاثَةُ: أَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ الَّذِي يُنْكَرُهُ الشَّرْعُ وَالْعَقْلُ.

الْوَصِيَّةُ الرَّابِعَةُ: وَسَيُصِيبُكَ أَذَىٰ مِنَ الدِّينِ تَأْمُرُهُمُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ؛ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ؛ إِنَّ ذَلِكَ الصَّبْرَ عَلَىٰ مَا يُصِيبُ الْقَائِمَ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ يَحْتَاجُ إِرَادَةً قَوِيَّةً رَفِيعَةً هِيَ مِنْ مُسْتَوَى الْعَزْمِ الَّذِي يَدْفَعُ أَصْحَابَهُ إِلَىٰ تَنْفِيزِ مَا يُرِيدُونَ مِمَّا يُرْضِي اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا؛ وَلَوْ اقْتَرَنَ بِهِ تَحَمُّلُ أَشَدِّ الصُّعُوبَاتِ، وَتَحَمُّلُ أَعْظَمِ الْأَلَامِ.

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾

* الْوَصِيَّةُ الْخَامِسَةُ: وَلَا تَتَكَبَّرْ؛ فَتَحْقِرَ النَّاسَ، وَتَعْرِضَ بِوَجْهِكَ عَنْهُمْ إِذَا كَلَّمُوكَ كَمَا يَفْعَلُ أَهْلُ الْكِبَرِ.

* الْوَصِيَّةُ السَّادِسَةُ: وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مُخْتَالًا مُتَبَخِّرًا فِي مِشْيَتِكَ؛ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فِي مَشْيِهِ، مُسْتَكْبِرٍ عَلَى النَّاسِ بِإِعْرَاضِهِ عَنْهُمْ، مُبَالِغٍ فِي الْفَخْرِ عَلَى النَّاسِ بِنَفْسِهِ، أَوْ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ قُوَّةٍ، أَوْ مَالٍ، أَوْ نَسَبٍ، أَوْ جَاهٍ، أَوْ ذِكَاةٍ، أَوْ جَمَالٍ وَجْهِ وَحُسْنِ طَلْعَةٍ.

وَمَنْ لَا يُحِبُّهُ اللَّهُ فَإِنَّهُ يُعْرِضُ نَفْسَهُ لِعِقَابِهِ.

﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾

[لقمان: ١٩].

الْوَصِيَّةُ السَّابِعَةُ: وَلْتَكُنْ فِي مِشْيَتِكَ مُتَوَسِّطًا بَيْنَ الْإِسْرَاعِ وَالتَّأْنِي، فِي سَكِينَةٍ وَوَقَارٍ.

الْوَصِيَّةُ الثَّامِنَةُ: وَاحْفَظْ مِنْ صَوْتِكَ بِقَدْرِ حَاجَةِ الْمُسْتَمِعِينَ؛ إِنَّ رَفْعَ الصَّوْتِ دُونَ حَاجَةٍ إِلَى رَفْعِهِ مِنْ صِفَاتِ الْحَمِيرِ؛ فَلَا تَكُنْ يَا بُنَيَّ مُتَّصِفًا بِصِفَةِ هِيَ مِنْ صِفَاتِ الْحَمِيرِ الَّتِي تَنْهَقُ فَتَرْفَعُ أَصْوَاتَهَا الْمُنْكَرَةَ؛ إِنَّ أَقْبَحَ الْأَصْوَاتِ وَأَكْثَرَهَا تَنْفِيرًا لِلْأَسْمَاعِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ.

يَا بُنَيَّ! إِنَّ السَّيِّئَةَ أَوْ الْحَسَنَةَ مَهْمَا كَانَتْ صَغِيرَةً مِثْلَ وَزْنِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ، وَكَانَتْ فِي بَطْنِ صَخْرَةٍ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا أَحَدٌ، أَوْ كَانَتْ فِي أَيِّ مَكَانٍ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَجَازِي الْعَبْدَ عَلَيْهَا.

وَلَكِنْ لِيَسْغُفَّهُمْ مِنْكُمْ بِسَطِّ الْوَجْهِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ!

إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ، خَبِيرٌ بِهِمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِهِمْ شَيْءٌ.

يَا بُنَيَّ! أَقِمِ الصَّلَاةَ بِأَدَائِهَا عَلَى أَكْمَلِ الْوُجُوهِ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَاصْبِرْ عَلَى مَا نَالَكَ مِنْ مَكْرُوهِ فِي ذَلِكَ؛ إِنَّ مَا أَمَرْتَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ مِمَّا عَزَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَهُ؛ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِيهِ.

وَلَا تُعْرِضْ بِوَجْهِكَ عَنِ النَّاسِ تَكْبَرًا، وَلَا تَمْشِ فَوْقَ الْأَرْضِ مُخْتَالًا مُتَكَبِّرًا؛ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فِي مَشِيَّتِهِ، فَخُورٍ بِمَا أُوتِيَ مِنْ نِعَمٍ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ عَلَيْهَا، بَلْ يُبْغِضُهُ.

وَتَوَسَّطْ فِي مَشِيكَ بَيْنَ الْإِسْرَاعِ وَالِدَّبِيبِ، مَشْيًا يُظْهِرُ الْوَقَارَ.

وَاخْفِضْ مِنْ صَوْتِكَ، لَا تَرْفَعُهُ رَفْعًا يُؤْذِي؛ إِنَّ أَفْبَحَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ فِي ارْتِفَاعِ أَصْوَاتِهَا. (*)

وَذَكَرَ اللَّهُ - تَعَالَى - لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَإِنَّكَ يَا مُحَمَّدُ لَعَلَى أَدَبٍ عَظِيمٍ، وَذَلِكَ أَدَبُ الْقُرْآنِ الَّذِي أَدَبَهُ اللَّهُ بِهِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ وَشَرَائِعُهُ (٢)، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿[القلم: ٣-٤].

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا عَظِيمًا - كَمَا يُفِيدُهُ التَّنْكِيرُ - غَيْرَ مَقْطُوعٍ، بَلْ هُوَ دَائِمٌ مُسْتَمِرٌّ؛ وَذَلِكَ لِمَا أَسْلَفَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَالْأَخْلَاقِ الْكَامِلَةِ،

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْفِرَاءَةُ وَالتَّغْلِيْقُ عَلَى مُخْتَصِرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [لقمان: ١٢ -

][١٩].

(٢) الطبري (٢٣/٥٢٨).

وَالْهُدَايَةَ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ أَي: عَلِيٍّ بِهِ، مُسْتَعْلٍ بِخُلُقِكَ الَّذِي مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ بِهِ. (*)

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ (٢) وَمُجَاهِدٌ (٣): «لَعَلَى دِينٍ عَظِيمٍ، لَا دِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ وَلَا أَرْضَى عِنْدِي مِنْهُ».

وَقَالَ الْحَسَنُ رضي الله عنه: «هُوَ آدَابُ الْقُرْآنِ» (٤).

وَقَالَ قَتَادَةُ: «هُوَ مَا كَانَ يَأْتَمُرُ بِهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَيَنْتَهِي عَنْهُ مِنْ نَهْيِ اللَّهِ» (٥).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «قِرَاءَةُ تَفْسِيرِ السَّعْدِيِّ» (تَفْسِيرُ سُورَةِ الْقَلَمِ - الثَّلَاثَاءُ ١١ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣١ هـ | ٢٦-١-٢٠١٠ م).

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ»: (١٨ / ٢٩)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو عُبَيْدٍ فِي «فَضَائِلِ الْقُرْآنِ»: (ص ١١٢)، وَالطَّبْرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ»: (١٨ / ٢٩)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

(٤) «مَعَالِمُ التَّنْزِيلِ»: (٨ / ١٨٧).

وَأَخْرَجَ نَحْوَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي «الزَّهْدِ»: (٢ / ٢١٧، رَقْم ٦٧٨)، وَالطَّبْرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ»: (٢٩ / ١٩)، وَالْأَجْرِيُّ فِي «الشَّرِيعَةِ»: (٣ / ١٥١٦، رَقْم ١٠٢٤)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ»: (١ / ٣١٠)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنْ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، قَالَ: «أَدَبُ الْقُرْآنِ».

وَرَوَى عَنْ مُجَاهِدٍ نَحْوَهُ أَيْضًا، وَانظُرْ: «تَفْسِيرُ الْمَاورِدِيِّ»: (٦ / ٦١).

(٥) «مَعَالِمُ التَّنْزِيلِ»: (٨ / ١٨٨)، وَ«الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ»: (١٨ / ٢٢٧).

وَأَخْرَجَ نَحْوَهُ الطَّبْرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ»: (٢٩ / ١٩)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنْ الضَّحَّاكِ، يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾: «بِعَنِي: دِينَهُ وَأَمْرَهُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ مِمَّا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ وَوَكَّلَهُ إِلَيْهِ».

وَلَكِنْ لِيَسْغُفُّوا مِنْكُمْ بِسُطِّ الْوَجْهِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ!

وَالْمَعْنَى: إِنَّكَ لَعَلَى الْخُلُقِ الَّذِي آثَرَكَ اللَّهُ بِهِ فِي الْقُرْآنِ. (*)

وَحَاصِلُ خُلُقِهِ الْعَظِيمِ: مَا فَسَّرْتَهُ بِهِ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لِمَنْ سَأَلَهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: «كَانَ خُلُقَهُ الْقُرْآنَ» (٢).

وَذَلِكَ نَحْوُ قَوْلِهِ -تَعَالَى- لَهُ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ الْبُرْهَانَ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِمَّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] الْآيَةَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّلَالَةِ عَلَى اتِّصَافِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَالْآيَاتِ الْحَاثَاتِ عَلَى كُلِّ خُلُقٍ جَمِيلٍ؛ فَكَانَ لَهُ مِنْهَا أَكْمَلُهَا وَأَجْلَاهَا، وَهُوَ فِي كُلِّ خَصَلَةٍ مِنْهَا فِي الذُّرْوَةِ الْعُلْيَا.

فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَهْلًا لَيْنًا، قَرِيبًا مِنَ النَّاسِ، مُجِيبًا لِدَعْوَةِ مَنْ دَعَاهُ، قَاضِيًا لِحَاجَةِ مَنْ اسْتَقْضَاهُ، جَابِرًا لِقَلْبِ مَنْ سَأَلَهُ، لَا يَحْرِمُهُ، وَلَا يَرُدُّهُ خَائِبًا، وَإِذَا أَرَادَ أَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْهُ أَمْرًا؛ وَافَقَهُمْ عَلَيْهِ، وَتَابَعَهُمْ فِيهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَحْذُورٌ.

وَإِنْ عَزَمَ عَلَى أَمْرٍ؛ لَمْ يَسْتَبِدَّ بِهِ دُونَهُمْ، بَلْ يُشَاوِرُهُمْ وَيُؤَامِرُهُمْ، وَكَانَ يَقْبَلُ مِنْ مُحْسِنِيهِمْ، وَيَعْفُو عَنْ مُسِيئِيهِمْ.

وَلَمْ يَكُنْ يُعَاشِرُ جَلِيْسًا لَهُ إِلَّا أَتَمَّ عَشْرَةَ وَأَحْسَنَهَا، فَكَانَ لَا يَعْْبَسُ فِي وَجْهِهِ، وَلَا يُغْلِظُ عَلَيْهِ فِي مَقَالِهِ، وَلَا يَطْوِي عَنْهُ بِشْرَهُ، وَلَا يُمْسِكُ عَلَيْهِ فَلَتَاتِ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصِرٌ مِنْ مُحَاصِرَةِ: «حُسْنُ الْخُلُقِ ١» - السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَوَّالٍ ١٣٨ هـ

٢٢-٧-٢٠١٧ م.

(٢) أخرجه مسلم (رقم ٧٤٦).

لِسَانِهِ، وَلَا يُؤَاخِذُهُ بِمَا يَصْدُرُ مِنْهُ مِنْ جَفْوَةٍ، بَلْ يُحْسِنُ إِلَيْهِ غَايَةَ الْإِحْسَانِ، وَيَحْتَمِلُهُ غَايَةَ الْإِحْتِمَالِ ﷺ (١). (*) .

لَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ -تَعَالَى- لَهُ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَوَلَّيَسَ فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ أَجْمَعَ لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ» (٣). (*) (٢).

وَأَمَرَنَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالْإِقْتِدَاءِ بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي أَقْوَالِهِ، وَأَفْعَالِهِ، وَأَخْلَاقِهِ، قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- فِي أَقْوَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَفْعَالِهِ، وَأَخْلَاقِهِ، وَثِقَّتِهِ بِاللَّهِ، وَثَبَاتِهِ فِي الشَّدَائِدِ وَالْمِحَنِ، وَصَبْرِهِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَقِتَالِهِ بِنَفْسِهِ، وَكُلِّ جُرِّيَّاتِ سُلُوكِهِ فِي الْحَيَاةِ.. لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِ قُدُوةٌ صَالِحَةٌ، وَخَصْلَةٌ حَسَنَةٌ مِنْ حَقِّهَا أَنْ يُؤْتَسَى وَيُقْتَدَى بِهَا لِمَنْ كَانَ يُؤْمَلُ مُرْتَقِبًا ثَوَابَ اللَّهِ،

(١) «تفسير السعدي» (٨٧٩) بتصرف يسير.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «قِرَاءَةُ تَفْسِيرِ السَّعْدِيِّ» (تَفْسِيرُ سُورَةِ الْقَلَمِ - الثَّلَاثَاءُ ١١ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣١هـ/ ٢٦-١-٢٠١٠م).

(٣) «معالم التنزيل»: (٣/٣١٦)، و«فتح الباري»: (٨/٣٠٦).

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «حُسْنُ الْخُلُقِ ١» - السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَوَّالٍ ١٣٨هـ/ ٢٢-٧-٢٠١٧م.

وَلَكِنْ لِيَسْعَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ! —————

وَيَرْجُو السَّعَادَةَ الْخَالِدَةَ يَوْمَ الدِّينِ، وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا فِي جَمِيعِ الْمَوَاطِنِ بِالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ^(١). (*)

عِبَادَ اللَّهِ! لَقَدْ أَوْلَتِ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ اهْتِمَامًا كَبِيرًا بِحُسْنِ الْخُلُقِ، وَالنَّبِيِّ ﷺ وَالْمَثَلِ الْكَامِلِ، النَّبِيِّ ﷺ الْمَثَلُ الْمَضْرُوبُ عَلَمًا عَلَى الْأَخْلَاقِ، وَكَمَالِ الْفَيْمِ، وَشَيْمِ التَّصَوُّرِ الصَّحِيحِ لِمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ مَنْ يُرِيدُهُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ خُلَفَاءَ فِي الْأَرْضِ يَحْمِلُونَ الْهِدَايَةَ وَالسَّعَادَةَ وَالنُّورَ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ مُحَمَّدٌ ﷺ. (*) (٢/٢).

وَهَذِهِ جُمْلَةٌ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالْحَاكِمُ، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ^(٤).

(١) «المعين على تدبر الكتاب المبين»: (ص ٤٢٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [الأحزاب: ٢١].

(*) (٢/٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِاخْتِصَارٍ يَسِيرٍ مِنْ خُطْبَةٍ: «أَخْلَاقُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ» - الْجُمُعَةُ ٢٩-٨-٢٠٠٣ م.

(٤) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ»: (٤/ ٣٥٥، رَقْم ١٩٨٧)، وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وَحَسَنُهُ لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (٣/ ١٢، رَقْم ٢٦٥٥).

وَعَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أُتِيَ اللَّهُ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا؟

قَالَ: وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا، قَالَ: يَا رَبِّ أَتَيْتَنِي مَالَكَ، فَكُنْتُ أَبَايَعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ، فَكُنْتُ أَتَيْسِرُ عَلَى الْمُوسِرِ، وَأَنْظِرُ الْمُعْسِرَ.

فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا أَحَقُّ بِذَا مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، وَاللَّفْظُ لَهُ ^(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا» ^(٢). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَأَحْمَدُ، وَابْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا زَعِيمٌ - الزَّعِيمُ هَاهُنَا: الضَّامِنُ - بَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ» ^(٣) - رِبْضُ الْجَنَّةِ: مَا حَوْلَهَا خَارِجًا عَنْهَا،

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: كتاب البيوع: باب من أنظر موسرا، (٢٠٧٧)، ومسلم في «الصحيح»: كتاب المساقاة: باب فضل إنظار المعسر، (١٥٦٠).

(٢) أخرجه أبو داود في «السنن»: كتاب السنة: باب الدليل على زيادة الإيمان وتقصانه، (٤٦٨٢)، والترمذي في «الجامع»: أبواب الرضاع: باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، (١١٦٢)، من حديث: أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وصححه لغيره الألباني في «الصحيححة»: (١/ ٥٧٣، رقم ٢٨٤).

(٣) «في ربض الجنة»، أي: حوالى الجنة وأطرافها لا في وسطها.

وَلَكِنْ لِيَسْعَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ! —————

تَشْبِيهَا بِالْأَبْنِيَّةِ الَّتِي تَكُونُ حَوْلَ الْمَدِينَةِ وَتَحْتَ الْقَلَاعِ - لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ - أَيِ: الْجَدَلِ - وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيِّتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبَيِّتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقَهُ»^(١). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ. (*)

فَجَعَلَ الْبَيْتَ الْعُلُويَّ جَزَاءً لِأَعْلَى الْمَقَامَاتِ الثَّلَاثَةِ، وَهِيَ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْأَوْسَطَ لِأَوْسَطِهَا، وَهُوَ تَرَكَ الْكَذِبِ، وَالْأَدْنَى لِأَدْنَاهَا، وَهُوَ تَرَكَ الْمُمَارَاةَ؛ وَإِنْ كَانَ مَعَهُ حَقٌّ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ مُشْتَمِلٌ عَلَى هَذَا كُلِّهِ. (*)/٢.

وَعِنْدَ مُسْلِمٍ (٤) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ سَعْدَ بْنَ هِشَامٍ سَأَلَهَا فَقَالَ: «يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ! أَنْبِئِي عَن خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ».

قَالَتْ: «أَلَيْسَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟».

قَالَ: «بَلَى».

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «السَّنَنِ»: كِتَابُ الْأَدَبِ: بَابُ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ، (٤٨٠٠)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالْحَدِيثُ حَسَنُهُ بِشَوَاهِدِهِ الْأَلْبَانِي فِي «الصَّحِيحَةِ»: (١ / ٥٥٢ - ٥٥٦، رَقْم ٢٧٣)، وَرَوَى عَنْ أَنَسٍ وَفَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، مَرْفُوعًا، بِنَحْوِهِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «حُسْنُ الْخُلُقِ ٢» - الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ شَوَّالِ ١٤٣٨ هـ | ٢٣-٧-٢٠١٧ م.

(*)/٢ (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «حُسْنُ الْخُلُقِ ١» - السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَوَّالِ ١٣٨ هـ | ٢٢-٧-٢٠١٧ م.

(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ: بَابُ جَامِعِ صَلَاةِ اللَّيْلِ،

وَلَكِنْ لِيَسْغَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ!

قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ».

وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»^(١). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَابْنُ حِبَّانَ، وَغَيْرُهُمَا بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»^(٢). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالْحَاكِمُ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ، وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَثَارُونَ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ، وَالْمُتَفِيهِقُونَ».

قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ عَلِمْنَا الثَّرَثَارُونَ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا الْمُتَفِيهِقُونَ؟».

قَالَ: «الْمُتَكَبِّرُونَ»^(٣). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَغَيْرُهُ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ. (*).

(١) أخرجه أبو داود في «السنن»: كتاب الأدب: باب في حسن الخلق، (٤٧٩٨)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (٣ / ٨، رقم ٢٦٤٣)، وروي عن أنس وأبي هريرة وأبي الدرداء وعلي بن أبي طالب وأبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، مرفوعاً، بنحوه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه الترمذي في «الجامع»: كتاب البر والصلة: باب ما جاء في معالي الأخلاق، (٢٠١٨)، من حديث: جاب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقال: «هذا حديث حسن غريب».

والحديث صححه الألباني في «الصحيحة»: (٤١٨ / ٢)، رقم (٧٩١).

(* ما مرَّ ذِكرُهُ مِنْ مُحَاصِرَةِ: «حُسْنُ الْخُلُقِ ٢» - الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ سُؤَالِ ١٤٣٨ هـ | ٢٣-٧-

وَلَكِنْ لِيَسْغُفَّهُمْ مِنْكُمْ بَسْطَ الْوَجْهِ وَحُسْنَ الْخُلُقِ! —————

الشَّرَّارُ: هُوَ كَثِيرُ الْكَلَامِ بِغَيْرِ فَائِدَةٍ دِينِيَّةٍ، وَالْمُتَشَدِّقُ: الْمُتَكَلِّمُ بِمَلَأٍ فِيهِ تَفَاضُحًا وَتَعَاظُمًا وَتَطَاوُلًا، وَإِظْهَارًا لِفَضْلِهِ عَلَى غَيْرِهِ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْفَهْقِ، وَهُوَ الْإِمْتِلَاءُ. وَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ الْبِرَّ: هُوَ حُسْنُ الْخُلُقِ؛ فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (١) عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْبِرِّ، وَالْإِثْمِ؟

فَقَالَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ».

فَقَابَلَ الْبِرَّ بِالْإِثْمِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ الْبِرَّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ حَوَازُ الصُّدُورِ، أَيُّ: مَا يَحِيكُ فِيهَا.

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ، وَهُوَ حَقَائِقُ الْإِيمَانِ، وَشَرَائِعُ الْإِسْلَامِ؛ وَلِهَذَا قَابَلَهُ بِالْإِثْمِ.

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «الْبِرُّ مَا أَطْمَأْنَنْتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي الصَّدْرِ». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالِدَّارِمِيُّ، وَأَبُو يَعْلَى، وَالطَّبْرَانِيُّ، وَهُوَ حَسَنٌ صَحِيحٌ (٢).

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح»: كتاب البر: باب تفسير البر والإثم، (٢٥٥٣).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند»: (٤/٢٢٧ و ٢٢٨)، والدارمي: (٢٥٧٥)، وأبو يعلى: (١٥٨٦ و ١٥٨٧)، والطبراني في «المعجم الكبير»: (١٤٧/٢٢-١٤٨، رقم ٤٠٢ و ٤٠٣)، من حديث: وابصة بن معبد الأسدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والحديث حسنه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (٢/٣٢٣، رقم ١٧٣٤).

وَلَكِنْ لِيَسْغَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ!

وَقَدْ فَسَّرَ حُسْنَ الْخُلُقِ بِأَنَّهُ الْبِرُّ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ: طَمَأْنِينَةُ النَّفْسِ وَالْقَلْبِ، وَالْإِثْمَ حَوَازُ الصُّدُورِ، وَمَا حَاكَ فِيهَا وَاسْتَرَابَتْ بِهِ، وَهَذَا غَيْرُ حُسْنِ الْخُلُقِ وَسُوْئِهِ فِي عُرْفٍ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ. (*)

وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ^(٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، قَالَ: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ -يَعْنِي: هَذِهِ الْآيَةُ- إِلَّا فِي أَخْلَاقِ النَّاسِ». وَعَنْهُ -أَيْضًا- قَالَ: «أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَأْخُذَ الْعَفْوَ مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ»^(٣) أَوْ كَمَا قَالَ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟

فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ».

وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ؟

فَقَالَ: «الْفَمُّ، وَالْفَرْجُ»^(٤). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ حِبَّانَ، وَغَيْرُهُمَا بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «حُسْنُ الْخُلُقِ ١» - السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَوَّالٍ ١٣٨ هـ | ٢٢-٧-٢٠١٧ م.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ التَّفْسِيرِ: سُورَةُ الْأَعْرَافِ: بَابُ «خُذِ الْعَفْوَ...»، (٤٦٤٣).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ التَّفْسِيرِ: سُورَةُ الْأَعْرَافِ: بَابُ «خُذِ الْعَفْوَ...»، (٤٦٤٤).

(٤) تَقْدِيمُ تَخْرِيجِهِ.

وَلَكِنْ لِيَسْعَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ! —————

وَفِي «الصَّحِيحِينَ» (١) - وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لِأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَيَّ هَذَا الْوَادِي فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْخَبْرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَاسْمَعُ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ اثْنَيْتَنِي».

فَانْطَلَقَ الْأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ، وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيَّ أَبِي ذَرٍّ، فَقَالَ لَهُ: «رَأَيْتَهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَكَلَامًا مَا هُوَ بِالشُّعْرِ». الْحَدِيثَ.

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلَ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيَبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ» (٢).

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةً صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ» (٣). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: كتاب مناقب الأنصار: باب إسلام أبي ذر الغفاري، (٣٨٦١)، ومسلم في «الصحيح»: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أبي ذر، (٢٤٧٤).

(٢) أخرجه أبو داود في «السنن»: كتاب الأدب: باب في حسن الخلق، (٤٧٩٩)، والترمذي في «الجامع»: كتاب البر: باب ما جاء في حسن الخلق، (٢٠٠٢ و ٢٠٠٣).

وفي رواية - عند الترمذي - زاد: «...، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء»، وفي أخرى له: «...، وإن صاحب حسن الخلق ليبغض الفاحش البذيء».

قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وأقره ابن حجر في «فتح الباري»: (٤٥٨/١٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة»: (٥٣٥/٢)، رقم (٨٧٦).

(٣) تقدم تخريجه.

وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنِهِ الْأَلْبَانِيُّ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وآله».

قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه: «فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمَرَ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَابِضٌ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ».

فَقَالَ: «يَا أَنَسُ! أَذْهَبَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ».

قُلْتُ: «نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ».

قَالَ أَنَسٌ: «وَاللَّهِ! لَقَدْ خَدَمْتُهُ سَبْعَ سِنِينَ أَوْ تِسْعَ سِنِينَ مَا عَلِمْتُ قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُ: هَلَّا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟»^(١).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الْآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُحْزِنَهُ»^(٢).

أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ.

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: كتاب الأدب: باب حسن الخلق والسخاء... (٦٠٣٨)، ومسلم في «الصحيح»: كتاب الفضائل: باب كان رسول الله صلى الله عليه وآله أحسن الناس خلقًا، (٢٣٠٩).

وفي رواية - عند أحمد في «المسند» (٣/ ٢٣١، رقم ١٣٤١٨) - زاد: «...، فما أمرني بأمر فتوانيت عنه أو ضيعته فلا مني، فإن لامني أحد من أهل بيته إلا قال: «دعوه، فلو قدر - أو قال: لو قضي - أن يكون كان».

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: كتاب الاستئذان: باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس...، (٦٢٩٠)، ومسلم في «الصحيح»: كتاب السلام: باب تحريم مناجاة الإثنيين دون الثالث بغير رضاه، (٢١٨٤).

وَلَكِنْ لِيَسَعَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ! —————

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ، وَالصَّلَاةِ، وَالصَّدَقَةِ؟».

قَالُوا: «بَلَى».

قَالَ: «صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ؛ فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ، أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ»^(٢)؟ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيْنٍ^(٣) سَهْلٍ^(٤)»^(٥). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

(١) أخرجه أبو داود في «السنن»: كتاب الأدب: باب في إصلاح ذات البين، (٤٩١٩)، والترمذي في «الجامع»: كتاب الرقاق: باب ٥٦، (٢٥٠٩)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

والحديث صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (٣/٧٠، رقم ٢٨١٤).

(٢) «حرم على النار»، أي: يمنع عنها.

(٣) «كل هين لين»، أي: كل موقرا رفيقا لغيره.

(٤) «سهل»، أي: في قضاء حوائجهم.

(٥) أخرجه الترمذي في «الجامع»: كتاب الرقائق: باب ٤٥، (٢٤٨٨)، وأحمد في «المسند»: (١/٤١٥).

قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب»، وصححه بشواهده الألباني في «الصحيححة»:

(٢/٦١١، رقم ٩٣٨).

وَعَنْ أَبِي هُبَيْرَةَ عَائِدِ بْنِ عَمْرِو الْمُرْزِيِّ - وَهُوَ مِنْ أَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) -
 أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ، فَقَالُوا: «وَاللَّهِ! مَا أَخَذَتْ
 سَيْوْفُ اللَّهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَا أَخَذَهَا».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): «أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخٍ قُرَيْشِيٍّ وَسَيِّدِهِمْ؟!».

فَأَتَى النَّبِيَّ (ﷺ)، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ! لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَئِنْ كُنْتَ
 أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ».

فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: «يَا إِخْوَتَاهُ! أَغْضَبْتِكُمْ؟».

قَالُوا: «لَا، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَخِي» (١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)، أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: «إِنَّ فِيكَ
 خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ؛ الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ» (٢). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارِ الْمُجَاشِعِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «إِنَّ اللَّهَ
 أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا؛ حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى
 أَحَدٍ» (٣). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح»: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل سلمان...
 (٢٥٠٤).

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح»: كتاب الإيمان: باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله...
 (١٧).

(٣) أخرجه مسلم في «الصحيح»: كتاب الجنة: باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل
 الجنة وأهل النار، (٢٨٦٥).

وَلَكِنْ لِيَسَعَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ!

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وآله قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ الْمَسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلُ الْمَسْكِ إِذَا أَنْ يُحْذِيكَ - أَي: يُعْطِيكَ -، وَإِنَّمَا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِنَّمَا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ إِذَا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِنَّمَا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً» (١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وآله قَالَ: «كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا؛ قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ؛ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ» (٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: «وَكَانَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وآله وَأَصْحَابُهُ يَعْنُونَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ، وَيَصْطَبِرُونَ عَلَى الْأَذَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ...﴾ [آل عمران: ١٨٦] الْآيَةَ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا...﴾ [البقرة: ١٠٩] الْآيَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وآله يَتَأَوَّلُ الْعَفْوَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ حَتَّىٰ أَذِنَ اللَّهُ - تَعَالَى - فِيهِمْ...». الْحَدِيثُ (٣). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ الذَّبَائِحِ: بَابُ الْمَسْكِ، (٥٥٣٤)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ الْبِرِّ: بَابُ اسْتِحْبَابِ مَجَالَسَةِ...، (٢٦٢٨).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ الْبُيُوعِ: بَابُ مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، (٢٠٧٨)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ الْمَسَاقَاةِ: بَابُ فَضْلِ إِنْظَارِ الْمُعْسِرِ، (١٥٦٢).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ التَّفْسِيرِ: سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: بَابُ ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ...﴾، (٤٥٦٦)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ

الْجِهَادِ: بَابُ فِي دَعَاءِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وآله إِلَى اللَّهِ...، (١٧٩٨).

وَعَنْ أَبِي ذَرِّ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا؛ وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ» (١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله قَالَ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ، فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ» (٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله: «لَا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ» (٣). رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ». وَ«لَا يَفْرَكُ» أَيُّ: لَا يُغْضِبُهَا بَغْضًا مُصَمَّتًا يُؤَدِّي بِهِ إِلَى تَرْكِهَا.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وآله قَالَ: «مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ! لَأُنْحِنَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ، فَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ» (٤). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وآله قَالَ: «مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ» (٥).

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح»: كتاب البر: باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، (٢٦٢٦).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: كتاب الأدب: باب الهجرة، (٦٠٧٧)، ومسلم في «الصحيح»: كتاب البر: باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي، (٢٥٦٠).

(٣) أخرجه مسلم في «الصحيح»: كتاب الرضاع: باب الوصية بالنساء، (١٤٦٩).

(٤) أخرجه مسلم في «الصحيح»: كتاب البر: باب فضل إزالة الأذى عن الطريق، (١٩١٤).

(٥) أخرجه الترمذي في «الجامع»: كتاب البر: باب ما جاء في الرفق، (٢٠١٣)، وقال: «وفي

الباب عن عائشة، وجريير بن عبد الله، وأبي هريرة وهذا حديث حسن صحيح»، وأفره

وَلَكِنْ لِيَسْعَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ!

أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافَيْتُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِيُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَيْتُمُوهُ» (١).
أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَسِّرُوا وَلَا تَعْسُرُوا، وَسَكِّنُوا وَلَا تُنْفِرُوا» (٢). (*)



الحافظ ابن حجر في «الفتح»: (١٠/٤٤٩)، وصححه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (٣/١٥، رقم ٢٦٦٧).
(١) أخرجه أبو داود في «السنن»: كتاب الزكاة: بَابُ عَطِيَّةٍ مَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ، (١٦٧٢)، والنسائي في «المجتبى»: كتاب الزكاة: مَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ، (٢٥٦٧).
والحديث صححه الألباني في «صحيح أبي داود»: (٥/٣٦٣، رقم ١٤٦٩)، وروى عن عائشةَ وَطَلْحَةَ وَالْحَكَمِ بْنِ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، مرفوعاً، بنحوه.
(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: كتاب الأدب: باب قول النبي ﷺ يسرّوا ولا تعسروا، (٦١٢٥).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «حُسْنُ الْخُلُقِ ٢» - الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ شَوَّالِ ١٤٣٨ هـ | ٢٣-٧-

امثل التطبيقية من حياة النبي ﷺ في حسن الخلق

إِنَّ الْمُتأملَ فِي حَيَاةِ نَبِينَا ﷺ يَجِدُ أَنَّهَا تَطْبِيقُ عَمَلِيٍّ لِأَخْلَاقِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَقِيمِهِ السَّامِيَةِ الَّتِي تَتَسَقَّى، وَالْفِطْرَةَ السَّوِيَّةَ؛ فَتَقُولُ فِيهِ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَتَصِفَ خُلُقَهُ عِنْدَمَا قِيلَ: مَا كَانَ خُلُقَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟

تَقُولُ: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ ﷺ» (١).

الَّذِي يَدْعُو إِلَى أَمْرٍ يَتَخَلَّفُ عَنِ الْوُصُولِ إِلَى غَايَتِهِ عَلَى حَسَبِ تَخَلُّفِهِ بِأَخْذِهِ بِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ.

الإِسْلَامُ قِيمٌ وَمَثَلٌ وَأَخْلَاقٌ وَمَبَادِيءُ عِظَامٌ فِي السَّمَاءِ؛ بَلْ إِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يُحْيِي بِهِ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَوَاتَ الْأَنْفُسِ.

النَّبِيُّ ﷺ جَاءَ بِهَذَا كُلِّهِ، وَكُلٌّ دَاعٍ إِلَى هَذَا كُلِّهِ بِجُمْلَتِهِ وَتَفْصِيلِهِ يَقَعُ دُونَ الْغَايَةِ عَلَى حَسَبِ تَخَلُّفِهِ عَنِ الْأَخْذِ بِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ أَخْلَاقِ الإِسْلَامِ الْعَظِيمِ وَمِنْ مَبَادِيئِهِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَدْ جَاءَ بِالْمَنْهَجِ وَهُوَ فِي عَيْنِ الْوَقْتِ هُوَ الْمَنْهَجُ ﷺ.

(١) تقدم تخريجه.

وَلَكِنْ لِيَسْغَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ!

وَلِذَا تَعَجَّبُ الْعَجَبَ كُلَّهُ عِنْدَمَا تَتَأَمَّلُ فِي مُعْجَزَةِ النَّبِيِّ ﷺ الْكُبْرَى، وَفِي آيَتِهِ الْعُظْمَى: فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، هُوَ الْمُعْجَزَةُ الْبَاقِيَةُ عَلَى الدَّهْرِ، هُوَ الْآيَةُ الْخَالِدَةُ عَلَى وَجْهِ الزَّمَانِ، لَا تَحُولُ وَلَا تَزُولُ، وَلَا تَبْدُلُ وَلَا تُحَرِّفُ، وَلَا تُسَوِّهُ، وَلَا يُنْقِصُ مِنْهَا، وَلَا يُزَادُ فِيهَا.

تَعَجَّبُ! كُلُّ نَبِيٍّ جَاءَ قَبْلَ النَّبِيِّ ﷺ يَأْتِي بِمَنْهَجٍ يَدْعُو إِلَيْهِ، وَمُعْجَزَةٍ تَقُومُ بِرَهَانًا عَلَى مَنْهَجِهِ؛ إِلَّا مُحَمَّدًا يَأْتِي بِمَنْهَجٍ هُوَ عَيْنُ الْمُعْجَزَةِ، وَبِمُعْجَزَةٍ هِيَ عَيْنُ الْمَنْهَجِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِمُحَمَّدٍ ﷺ.

مُعْجَزَتُهُ الْكُبْرَى مِنْهَجُهُ، وَمَنْهَجُهُ الْأَعْظَمُ مُعْجَزَتُهُ الْكُبْرَى، مَنْهَجٌ فِي مُعْجَزَةٍ، وَمُعْجَزَةٌ فِي مَنْهَجٍ، وَالرَّسُولُ قَائِمٌ بِالْمُعْجَزَةِ وَالْمَنْهَجِ فِي شَخْصِهِ وَذَاتِهِ فِي آنٍ، بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي وَنَفْسِي ﷺ (*).

عَنْ أُمِّ خَالِدِ بِنْتِ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: آتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَعَ أَبِي وَعَلَيَّ قَمِيصٌ أَصْفَرٌ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَنَهُ سَنَهُ».

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَهِيَ بِالْحَبَشِيَّةِ: حَسَنَةٌ حَسَنَةٌ.

قَالَتْ: فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ، فزَبْرَنِي - أَي: نَهَرَنِي وَزَجَرَنِي - أَبِي.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعُهُ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَبْلِي وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي».

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِاخْتِصَارِ يَسِيرٍ مِنْ خُطْبَةٍ: «أَخْلَاقُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ» - الْجُمُعَةُ ٢٩-٨-

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «فَبَقِيَتْ حَتَّى ذَكَرَ، يَعْنِي: مِنْ بَقَائِهَا»^(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعُوهُ، وَأَهْرَبُوا عَلَيَّ بَوْلَهُ ذَنْبًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ؛ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسَّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسَّرِينَ»^(٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا».

قَالَ: «إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا»^(٣). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ يَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالُوا: «السَّامُ عَلَيْكُمْ»، وَالسَّامُ: الْمَوْتُ.

فَقَالَتْ عَائِشَةُ: «عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمْ اللَّهُ، وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ».

قَالَ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ! عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ، وَإِيَّاكَ وَالْعُنْفَ وَالْفَحْشَ».

قَالَتْ: «أَوْ لَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟!».

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: كتاب الأدب: باب من ترك صبية غيره حتى تلعب به... (٥٩٩٣).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: كتاب الوضوء: باب صب الماء على البول في المسجد، (٢٢٠)، والحديث في الصحيحين بنحوه عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرج الترمذي في «الجامع»: كتاب البر والصلة: باب ما جاء في المزاح، (١٩٩٠).

قال الترمذي: «هذا حديث حسن»، وصححه الألباني في «الصحيحة»: (٤/ ٣٠٤)، رقم

(١٧٢٦)، وفي مختصر «الشماثل»: (ص ١٢٦، رقم ٢٠٢)

وَلَكِنْ لِيَسْعَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ!

قَالَ: «أَوْ لَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟! رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيَسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَتِ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لِتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه، فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ»^(٢). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: «أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله وسلامته عليه وَضَعَ صَبِيًّا فِي حِجْرِهِ يُحْنِكُهُ، فَبَالَ عَلَيْهِ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَاتَّبَعَهُ»^(٣). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، أَنَّهُ عَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه قَبْلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ -أَي: رَجَعَ- رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه قَفَلَ مَعَهُ، فَأَذْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةَ -يَعْنِي: وَفَتِ الْقَيْلُولَةَ- فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَطْلُونَ بِالشَّجَرِ.

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: كتاب الجهاد: باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، (٢٩٣٥)، ومسلم في «الصحيح»: كتاب السلام: باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام..، (٢١٦٥).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: كتاب الأدب: باب الكبر، (٦٠٧٢).

وفي رواية -عند ابن ماجه في «السنن»: كتاب الزهد: باب البراءة من الكبر والتواضع، (٤١٧٧)-: «إِنْ كَانَتِ الْأُمَّةُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لِتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه، فَمَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهَا حَتَّى تَذْهَبَ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ فِي حَاجَتِهَا».

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح»: كتاب الأدب: باب وضع الصبي في الحجر، (٦٠٠٢)، ومسلم في «الصحيح»: كتاب الطهارة: باب حكم بول الطفل الرضيع وكيفية غسله، (٢٨٦).

فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ، وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ، وَنَمَنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُونَا، وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي - أَيُّ: سَلَّهُ مِنْ غَمْدِهِ - وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا - أَيُّ: مُنْجَرِدًا -».

فَقَالَ: «مَا يَمْنَعُكَ مِنِّي؟».

فَقُلْتُ: «اللَّهُ» ثَلَاثًا، وَلَمْ يُعَاقِبْهُ، وَجَلَسَ» (١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنِ الصَّعْبِ بْنِ جَثَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَهْدَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِمَارًا وَحَشِيًّا بِالْأَبْوَاءِ أَوْ بِ(وَدَّانَ)، فَرَدَّهُ عَلَيَّ، فَلَمَّا رَأَى مَا فِي وَجْهِ قَالٍ: «إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَا حُرْمٌ» (٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِبُرْدَةٍ، فَقَالَ سَهْلٌ لِلْقَوْمِ: أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟
فَقَالَ الْقَوْمُ: هِيَ شَمْلَةٌ.

فَقَالَ سَهْلٌ: هِيَ شَمْلَةٌ مَنْسُوجَةٌ فِيهَا حَاشِيَتُهَا.

فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَكْسُوكَ هَذِهِ، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا فَلَبَسَهَا، فَرَأَاهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا أَحْسَنَ هَذِهِ فَاكْسُنِيهَا.

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: كتاب المغازي: باب غزوة بني المصطلق، (٤١٣٩)،

ومسلم في «الصحيح»: كتاب صلاة المسافرين: باب صلاة الخوف، (٨٤٣).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: كتاب جزاء الصيد: باب إذا أهدئ للمحرم حمارا

وحشيا حيا لم يقبل، (١٨٢٥)، ومسلم في «الصحيح»: كتاب الحج: باب تحريم الصيد

للمحرم، (١١٩٣).

وَلَكِنْ لِيَسْغَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ!

فَقَالَ: «نَعَمْ».

فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ لَامَهُ أَصْحَابُهُ، فَقَالُوا: مَا أَحْسَنْتَ حِينَ رَأَيْتَ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَهَا مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ إِيَّاهَا وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ لَا يُسْأَلُ شَيْئًا فَيَمْنَعُهُ.

فَقَالَ: رَجَوْتُ بَرَكَتَهَا حِينَ لَبَسَهَا النَّبِيُّ ﷺ؛ لَعَلِّي أَكْفَنُ فِيهَا»^(١). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي أَفٌّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتُهُ؟ وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ: لِمَ تَرَكْتُهُ؟ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، وَلَا مَسَسْتُ خَرًّا قَطُّ وَلَا حَرِيرًا وَلَا شَيْئًا كَانَ أَلَيْنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا شَمَمْتُ مِسْكَ قَطُّ وَلَا عِطْرًا كَانَ أَطْيَبَ مِنْ عَرَقِ النَّبِيِّ ﷺ»^(٢). وَهَذَا الْحَدِيثُ أَخْرَجَ بَعْضُهُ الْبُخَارِيُّ، وَأَخْرَجَ بَعْضُهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْأُولَى، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ، فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدِّي أَحَدِهِمْ

(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: كتاب الأدب: باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، (٦٠٣٦).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحیح»: كتاب الصيام: باب ما يذكر من صوم النبي ﷺ وإفطاره، (١٩٧٣)، وفي كتاب الوصايا: باب استخدام اليتيم في السفر والحضر...، (٢٧٦٨)، ومسلم في «الصحیح»: كتاب المساجد: باب جواز الجماعة في النافلة، (٦٥٩)، وفي كتاب الفضائل: باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا، (٢٣٠٩).

وَاحِدًا وَاحِدًا، قَالَ: وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي، فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَارٍ^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ».

وَالجُؤْنَةُ: الْإِنَاءُ الَّذِي يُعَدُّ فِيهِ الطِّيبُ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَفْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الْأَفْرَعُ: إِنَّ لِي عَشْرَةَ مِنَ الْوَالِدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا.

فَنظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يَرْحَمُ»^(٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صلوات الله وسلامته عليه أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ - قَالَ: أَحْسَبُهُ فَطِيمًا -، وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ! مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟».

نُغْرٌ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَرَبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا، فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيَكْسُو وَيُنْضَحُ، ثُمَّ يَقُومُ وَنَقُومُ خَلْفَهُ، فَيَصَلِّي بِنَا»^(٣). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح»: كتاب الفضائل: باب طيب رائحة النبي صلوات الله وسلامته عليه ولين مسه والتبرك بمسحه، (٢٣٢٩).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: كتاب الأدب: باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، (٥٩٩٧)، ومسلم في «الصحيح»: كتاب الفضائل: باب رحمته صلوات الله وسلامته عليه الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، (٢٣١٨).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح»: كتاب الأدب: باب الانبساط إلى الناس، (٦١٢٩)، ومسلم في «الصحيح»: كتاب الآداب: باب استحباب تحنيك المولود...، (٢١٥٠).

وَلَكِنْ لِيَسَعَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ!

وَالنَّغِيرُ: طَائِرٌ صَغِيرٌ يُشْبِهُ الْعُصْفُورَ.

وَعَنْ ابْنِ أَبِي مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ، أَوْ طَلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ: «اشْفَعُوا تُوجَرُوا، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَيَّ لِسَانَ نَبِيِّهِ صلوات الله عليه وآله مَا شَاءَ» (١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «كَانِي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدَمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» (٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وآله أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَدْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ» (٣). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وَعَلَيْهِ رِدَاءٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَبَذَ بِرِدَائِهِ جَبَذَةً شَدِيدَةً، فَانْزَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وآله وَقَدْ أَثَرَتْ فِيهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبَذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: كتاب الزكاة: باب من أحب تعجيل الصدقة من (١٤٣٢)، ومسلم في «الصحيح»: كتاب البر: باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام، (٢٦٢٧).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: كتاب أحاديث الأنبياء: باب الغار، (٣٤٧٧)، ومسلم في «الصحيح»: كتاب الجهاد: باب غزوة أحد، (١٧٩٢).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح»: كتاب المناقب: باب صفة النبي صلوات الله عليه وآله، (٣٥٦٢)، ومسلم في «الصحيح»: كتاب الفضائل: باب كثرة حياته صلوات الله عليه وآله، (٢٣٢٠).

مُحَمَّدًا! مَرُّ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ» (١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: «سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي أَهْلِهِ؟».

قَالَتْ: «كَانَ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ» (٢).
أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

و«مِهْنَةُ أَهْلِهِ» يَعْنِي: الصَّنْعَةَ، وَالْمَرَادُ: كَانَ فِي شُغْلِ أَهْلِهِ وَحَوَائِجِهِمْ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا عَبَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَامًا قَطُّ، إِنْ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِلَّا تَرَكَهُ» (٣). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: كتاب فرض الخمس: باب ما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعطي المؤلفه قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، (٣١٤٩)، ومسلم في «الصحيح»: كتاب الزكاة: باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة، (١٠٥٧).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: كتاب الأدب: باب كيف يكون الرجل في أهله، (٦٠٣٩).

وفي رواية - عند أحمد (٦/ ١٠٦ و ١٢١) -: «كَانَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرَّجَالُ فِي بَيْوتِهِمْ»، وفي أخرى له (٦/ ٢٥٦): «كَانَ بَشْرًا مِنْ الْبَشَرِ يَفْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ».

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح»: كتاب المناقب: باب صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (٣٥٦٣)، ومسلم في «الصحيح»: كتاب الأشربة: باب لا يعيب الطعام، (٢٠٦٤).

وَلَكِنْ لِيَسْأَلَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطَ الْوَجْهِ وَحُسْنَ الْخُلُقِ! —————

وَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا؛ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ عَنْكَ» (١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَا خَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ؛ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةٌ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ بِهَا اللَّهُ» (٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا رَأَيْتُ رَجُلًا انْتَقَمَ أذنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُنْحِي رَأْسَهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يُنْحِي رَأْسَهُ، وَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَخَذَ بِيَدِهِ فَتَرَكَ يَدَهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَدَعُ يَدَهُ».

وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَقْبَلَهُ الرَّجُلُ فَصَافَحَهُ؛ لَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ الَّذِي يَنْزِعُ، وَلَا يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَن وَجْهِهِ

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: كتاب المناقب: باب صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (٣٥٦٠)،
ومسلم في «الصحيح»: كتاب الفضائل: باب مباحثته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأثم واختياره من المباح
أسهله...، (٢٣٢٨).

(٢) تقدم تخريجه.

حَتَّىٰ يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَصْرِفُهُ، وَلَمْ يَرِ مُقَدِّمًا رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ لَهُ»^(١). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَذَا كَانَ أَصْحَابُهُ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي «الصَّحِيحِ» عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَاءَ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ؛ كَهَوْلًا كَانُوا أَوْ شَبَانًا.

فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي! لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ؛ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ.

قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ الْحُرُّ لِعُيَيْنَةَ، فَأُذِنَ لَهُ عُمَرُ.

فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزَلَ، وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ.

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «السَّنَنِ»: كِتَابُ الْأَدَبِ: بَابُ فِي حَسَنِ الْعَشْرَةِ، (٤٧٩٤)، مِنْ طَرِيقِ: مَبَارَكِ بْنِ فَضَالَةَ، عَنْ ثَابِتِ الْبَنَانِيِّ، وَالتِّرْمِذِيِّ فِي «الْجَامِعِ»: كِتَابُ الرِّقَاقِ: بَابُ ٤٦، (٢٤٩٠)، وَابْنُ مَاجَةَ فِي «السَّنَنِ»: كِتَابُ الْأَدَبِ: بَابُ إِكْرَامِ الرَّجُلِ جَلِيسِهِ، (٣٧١٦)، مِنْ طَرِيقِ: زَيْدِ الْعَمِيِّ، كِلَاهِمَا: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِهِ.

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ»، وَصَحَّحَهُ بِمَجْمُوعِ طَرِيقِهِ الْأَلْبَانِيِّ فِي «الصَّحِيحَةِ»:

(٥/٦٣٥، رَقْمُ ٢٤٨٥).

وَلَكِنْ لِيَسْغُفُّهُمْ مِنْكُمْ بِسُطِّ الْوَجْهِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ! —————

فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنَّ اللَّهَ -تَعَالَى-
 قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]،
 وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ»، وَاللَّهُ! مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ
 كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا» (١). (*) .



(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: كتاب التفسیر: سورة الأعراف: باب ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾،
 (٤٦٤٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «حُسْنُ الْخُلُقِ ٢» - الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ سُؤَالِ ١٤٣٨ هـ | ٢٣-٧-

الأخلاق من أعظم ركائز بناء الحضارات

إنَّ الأخلاقَ الفاضلةَ من أهمِّ ركائزِ قيامِ الدَّولِ والحضاراتِ، واستقرارِ الدَّولِ ودوامِها يعودُ إلى مدى تمسُّكها بالعقيدةِ الصحيحةِ، والقيمِ النبيلةِ، والأخلاقِ الحميدةِ، وقد سجَّلَ التاريخُ بحروفٍ من نورِ النَّجاشِيِّ مَلِكِ الحَبَشَةِ الَّذِي اشتهرَ بِالْعَدْلِ وَمَكَارِمِ الأخلاقِ؛ فلَمَّا حَلَّ الأذَى بِسَاحَةِ الأَصْحَابِ رضي الله عنهم أمرَهُمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله أَنْ يهاجِرُوا إلى الحَبَشَةِ، وأخبرَهُمْ أَنَّ بِها مَلِكًا عادِلًا لا يُظلمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ.

فهاجَرَ إلى الحَبَشَةِ في سَبيلِ اللهِ رَبُّ العالَمينَ مَنْ هاجَرَ، ثُمَّ سَعَتْ قُرَيْشٌ سَعائَتَها مِنْ أَجْلِ أَنْ تُرَدَّ المُهاجِرِينَ مِنَ الحَبَشَةِ إلى مَكَّةَ مِنْ أَجْلِ فَتنتِهِمْ وتَعذيبِهِمْ؛ فَثَبَّتَ اللهُ رَبُّ العالَمينَ النَّجاشيَّ - طيَّبَ اللهُ رَبُّ العالَمينَ ثِراهُ وأحسَنَ في الجَنَّةِ مَثواهُ -، إِذْ أَسْلَمَ بَعْدُ قَلْبُهُ وَزَمامَةُ لِيَلَهُ رَبُّ العالَمينَ وَتَبَعَ النَّبِيَّ الأَمينَ صلى الله عليه وآله (١)،

(١) فقد أخرج البخاري (٣٨٨٠، ٣٨٨١) وموضع، ومسلم (٩٥١)، من حديث: أبي هريرة رضي الله عنه، قال: نعى لنا رسول الله صلى الله عليه وآله النَّجاشيَّ صاحبَ الحَبَشَةِ، في اليومِ الَّذِي ماتَ فيه، وقال: «استغفروا لأخيكم».

وَلَكِنْ لِيَسْغَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ!

فَثَبَّتَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ؛ فَلَمْ تَبْلُغْ قُرَيْشٌ مِنْ ذَلِكَ مَبْلَغًا (١). (*)

وَقَدْ أَسَّسَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْظَمَ حَضَارَةٍ فِي التَّارِيخِ خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَالْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ، وَالْمَثَلِ السَّامِيَةِ؛ فَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فِي حَدِيثِ هِجْرَةِ الْحَبَشَةِ مِنْ كَلَامِ جَعْفَرٍ فِي مُحَاظَبَةِ النَّجَاشِيِّ، فَقَالَ لَهُ: «أَيُّهَا الْمَلِكُ! كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجَوَارِ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَ الضَّعِيفِ.

فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا، نَعْرِفُ صِدْقَهُ وَنَسَبَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللهِ؛ لِنُوحِدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ؛ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ.

وَأَمَرْنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالِدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ.

وَأَمَرْنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرْنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ، قَالَ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ، قَالَ: فَصَدَّقَنَاهُ وَأَمَنَّا بِهِ، وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى

(١) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (ص ٢١٣)، ومن طريقه: ابن هشام في «السيرة» (١/ ٣٣٤)، وأحمد (١٧٤٠، و٢٢٤٩٨)، وابن خزيمة في «صحيحه» (رقم ٢٢٦٠)، وغيرهم، بإسناد صحيح، عن أم سلمة زوج النبي ﷺ، أنها قالت: «لما ضاقت علينا مكة وأوذني أصحاب رسول الله ﷺ...»، الحديث.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «دُرُوسٌ مِنَ الْهَجْرَةِ» - ١٦ - ٥ - ١٩٩٧ م

مَا جَاءَ بِهِ»^(١). الْحَدِيثَ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»، وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ شَاكِرٌ وَغَيْرُهُ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى جَمِيعًا - (*).

إِنَّ الْأُمَّةَ وَالْحَضَارَاتِ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُبْنَى بِنَاءً سَدِيدًا إِلَّا إِذَا اعْتَمَدَتْ فِي أُسُسِ بِنَائِهَا عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، فَلَا تَتَقَدَّمُ أُمَّةٌ بِدُونِ الصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ، وَلَا يَسْتَقِيمُ بِنَائُهَا بِدُونِ الْإِنضِبَاطِ السُّلُوكِيِّ، وَلَا تَقْوَى بِدُونِ النَّاخِيِ وَالتَّالْفِ وَالتَّكْتَفِ؛ فَالْأُمَّةُ الْوَاحِدَةُ تُشْبِهُ الْجَسَدَ الْوَاحِدَ الَّذِي يَتَعَاوَنُ أَعْضَاؤُهُ عَلَى خِدْمَتِهِ وَسَلَامَتِهِ، وَلَا يَكْتَمِلُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِالتَّحَابِّ وَالتَّالْفِ وَالتَّعَاوُنِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدْوٰنِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

فَالْبِرُّ: اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُوْلُهُ، وَأَحَبَّهُ اللَّهُ وَرَسُوْلُهُ، مِنْ التَّحَقُّقِ بِعَقَائِدِ الدِّينِ وَأَخْلَاقِهِ، وَالعَمَلِ بِأَدَابِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، مِنْ الشَّرَائِعِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، وَمِنْ الْقِيَامِ بِحُقُوقِ اللَّهِ وَحُقُوقِ عِبَادِهِ، وَمِنْ التَّعَاوُنِ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ إِجْمَالًا وَتَفْصِيْلًا؛ فَكُلُّ هَذَا دَاخِلٌ فِي التَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ.

(١) جزء من حديث طويل في الهجرة إلى الحبشة؛ أخرجه أحمد في «المسند»: (١/ ٢٠١ - ٢٠٢) و(٥/ ٢٩٠-٢٩١)، والبيهقي في «السنن الكبرى»: (٩/ ٩ و ١٤٤)، وفي «الدلائل»: (٢/ ٣٠١-٣٠٦).

والحديث جود إسناده الألباني في «الصحيحة»: (٧/ ٥٧٨، رقم ٣١٩٠).

(* ما مرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «مِصْرٌ وَخِيَانَةُ الْأَمَانَةِ» - الْجُمُعَةُ ١٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٦هـ | ٥-

وَلَكِنْ لِيَسْغَهُمْ مِنْكُمْ يَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ! —————

وَمِنَ التَّعَاوُنِ عَلَى التَّقْوَى: التَّعَاوُنُ عَلَى اجْتِنَابِ وَتَوْقِي مَا نَهَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ عَنْهُ مِنَ الْفَوَاحِشِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَمِنَ الْإِثْمِ وَالْبَغْيِ بغيرِ الْحَقِّ، وَالْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ بِلا عِلْمٍ؛ بَلْ عَلَى تَرْكِ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ. (*).

وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» (٢/*) (٢).

لَقَدْ مَثَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ بِالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَهَذَا هُوَ الْمِثَالُ الصَّحِيحُ لِكُلِّ شَعْبٍ مُؤْمِنٍ، أَنْ يَتَعَاوَنَ أَفْرَادُهُ فِي إِقَامَةِ بِنَائِهِ، بِحَيْثُ يَكُونُ الْعَرَضُ تَشْيِيدَ هَذَا الْبِنَاءِ وَتَمَاسِكُهُ وَتَرَاصُّهُ، بِحَيْثُ يَكْمُلُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَيَقُومُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَلَا إِيمَانَ كَامِلَ مَعَ التَّفَرُّقِ، وَلَا بِنَاءَ مُحَكَّمٍ مَعَ التَّفَكُّكِ.

أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخَذَ مِنَ الْبِنَاءِ لَبْنَةً؛ أَلَا يَنْقُصُ هَذَا الْبِنَاءَ؟! فَكَيْفَ إِذَا كَانَتِ اللَّبِنَاتُ مُتَنَافِرَةً، بَلْ كُلُّ وَاحِدَةٍ تَهْدِمُ الْأُخْرَى وَتَزْلُزِلُهَا؟!!! (*٣).

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «التَّعْلِيقِ عَلَى رِسَالَةِ: وَجُوبِ التَّعَاوُنِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ».

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (رَقْمَ ٤٨١ وَ ٢٤٤٦ وَ ٦٠٢٦)، وَمُسْلِمٌ (رَقْمَ ٢٥٨٥)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، بَلْفَظٍ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»، وَنَحْوَهُ فِي «الصَّحِيحِينَ» أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ: النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِثْلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مِثْلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحَمَى».

(*٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «أَيُّهَا الْمَصْرِيُّونَ! لَا عُدْرَ لَكُمْ!!» - ٢٩ مِنْ صَفَرِ ١٤٣٧ هـ |

١١-١٢-٢٠١٥ م.

(*٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسَلَةٍ: «التَّحْذِيرُ مِنَ الْفُرْقَةِ وَالْإِخْتِلَافِ وَحُقُوقِ الْمُسْلِمِ عَلَى

أَخِيهِ» - الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَى - الثَّلَاثَاءُ ٢٥ مِنْ صَفَرِ ١٤٣٩ هـ | ١٤-١١-٢٠١٧ م (كَلِمَةٌ

لِأَخْوَانِنَا فِي لِيَبَا).

وَيَقُولُ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى» (١).

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْبُنْيَانَ وَأَنَّ الْجَسَدَ شَيْءٌ وَاحِدٌ مُتَمَايِسٌ، لَيْسَ فِيهِ تَفَرُّقٌ؛ لِأَنَّ الْبُنْيَانَ إِذَا تَفَرَّقَ سَقَطَ، كَذَلِكَ الْجِسْمُ، إِذَا تَفَرَّقَ فَقَدَ الْحَيَاةَ؛ فَلَا بُدَّ مِنَ الْاجْتِمَاعِ، وَأَنْ نَكُونَ أُمَّةً وَاحِدَةً، أَسَاسُهَا التَّوْحِيدُ، وَمَنْهَجُهَا دَعْوَةُ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسَارُهَا عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ. (*).

وَيَقُولُ ﷺ: «وَلَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» (٣).

لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ إِيمَانًا صَحِيحًا كَامِلًا مُعْتَبَرًا فِي مِيزَانِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَقْبُولًا عِنْدَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ. (*/٢).

(١) أخرجه البخاري (رقم ٦٠١١)، ومسلم (رقم ٢٥٨٦)، من حديث: النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بلفظ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى»، وفي رواية للبخاري: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحِمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ...» الحديث، وفي رواية لمسلم: «الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهْرِ»، وفي رواية له أيضا: «الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنْ اشْتَكَى عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ».

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «أَيُّهَا الْمَضْرُوبُونَ! لَا عُذْرَ لَكُمْ!!» - ٢٩ مِنْ صَفَرِ ١٤٣٧هـ | ١١ -

١٢ - ٢٠١٥م.

(٣) تقدم تخريجه.

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «مَا صَحَّ فِي لَيْلَةِ النَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ» - الْجُمُعَةُ ١٠ مِنْ

شَعْبَانَ ١٤٢٥هـ | ٢٤ - ٩ - ٢٠٠٤م.

وَلَكِنْ لِيَسْأَلَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطَ الْوَجْهِ وَحُسْنَ الْخُلُقِ! —————

إِنَّ التَّحَلِّيَ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ صِمَامٌ أَمَانِ الْمُجْتَمَعَاتِ مِنَ الْإِنْجِلَالِ وَالْفَوْضَى وَالضِّيَاعِ، وَبِرَوَالِهَا تَسْقُطُ الْأُمَمُ، فَكَمْ مِنْ حَضَارَاتٍ انْهَارَتْ بِتَرَدِّي أَخْلَاقِهَا، وَقَدْ ذَكَرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ نَمَازِجَ لِأُمَّمٍ هَلَكَتْ بِسَبَبِ بُعْدِهَا عَنِ الْأَخْلَاقِ؛ حَيْثُ يَقُولُ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَقَوْمٌ نُوْحٌ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾ [الذاريات: ٤٦].

وَكَذَلِكَ مَا فَعَلَ اللَّهُ بِقَوْمِ نُوحٍ حِينَ كَذَّبُوا نُوحًا الصلوات، وَفَسَقُوا عَنْ أَمْرِ اللَّهِ؛ فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ بِالْمَاءِ الْمُنْهَمِرِ، فَأَعْرَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى [عَنْ آخِرِهِمْ]، وَلَمْ يَبْقِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا، وَهَذِهِ عَادَةُ اللَّهِ وَسُنَّتُهُ فِيمَنْ عَصَاهُ^(١).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ (١٥) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿[انفصلت: ١٥-١٦].

«هَذَا تَفْصِيلٌ لِقِصَّةِ هَاتَيْنِ الْأُمَّتَيْنِ؛ عَادٍ، وَثَمُودَ، فَأَمَّا عَادٌ فَكَانُوا -مَعَ كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ، وَجَحْدِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَكُفْرِهِمْ بِرُسُلِهِ- مُسْتَكْبِرِينَ فِي الْأَرْضِ، قَاهِرِينَ لِمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْعِبَادِ، ظَالِمِينَ لَهُمْ، قَدْ أَعْجَبَتْهُمْ قُوَّتُهُمْ، ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾، قَالَ تَعَالَى رَدًّا عَلَيْهِمْ بِمَا يَعْرِفُهُ كُلُّ أَحَدٍ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ ﴿فَلَوْلَا خَلْقُهُ إِيَّاهُمْ لَمْ يُوجِدُوا، فَلَوْ نَظَرُوا إِلَىٰ هَذِهِ الْحَالِ نَظْرًا صَحِيحًا، لَمْ يَغْتَرُّوا بِقُوَّتِهِمْ، فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ عِقَابًا، تَنَاسَبُ قُوَّتَهُمْ، الَّتِي اغْتَرُّوا بِهَا.

(١) «تفسير السعدي» (ص ٨١١).

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾؛ أَي: رِيحًا عَظِيمَةً مِنْ قُوَّتِهَا وَشِدَّتِهَا، لَهَا صَوْتُ مُزْعِجٍ كَالرَّعْدِ الْقَاصِفِ، فَسَخَّرَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ، نَحِسَاتٍ فَدَمَّرْتَهُمْ وَأَهْلَكْتَهُمْ، فَأَصْبَحُوا لَا يَرَى إِلَّا مَسَاكِينَهُمْ، وَقَالَ هُنَا: ﴿لِنُذِقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الَّذِي اخْتَرُوا بِهِ وَافْتَضَحُوا بَيْنَ الْخَلِيقَةِ، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾؛ أَي: لَا يُمْنَعُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَلَا يَنْفَعُونَ أَنْفُسَهُمْ^(١).

وَيَقُولُ -جَلَّ شَأْنُهُ-: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَدْحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^(٢٨) أَيُّكُمْ لَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ^(٢٩) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ^(٣٠) وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ^(٣١) قَالَ إِنِّي فِيهَا لَوْطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ^(٣٢) وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ^(٣٣) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْرًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ^(٣٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿[العنكبوت: ٢٨-٣٥].

(١) «تفسير السعدي» (ص ٧٤٦).

وَلَكِنْ لِيَسْغُتْهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ! —————

«أَرْسَلَ اللَّهُ لُوطًا إِلَى قَوْمِهِ، وَكَانُوا مَعَ شُرِكِهِمْ قَدْ جَمَعُوا بَيْنَ فِعْلِ الْفَاحِشَةِ فِي الذُّكُورِ وَتَقْطِيعِ السَّبِيلِ، وَفُشُو الْمُنْكَرَاتِ فِي مَجَالِسِهِمْ، فَصَحَّحَهُمْ لُوطٌ عَنْ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَبَيَّنَ لَهُمْ قَبَائِحَهَا فِي نَفْسِهَا، وَمَا تَوَوَّلَ إِلَيْهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ الْبَلِيغَةِ، فَلَمْ يَرَعَوْا وَلَمْ يَذْكُرُوا، ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أُتِنَّا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

فَأَيَسَ مِنْهُمْ نَبِيَّهُمْ، وَعَلِمَ اسْتِحْقَاقَهُمُ الْعَذَابَ، وَجَزَعَ مِنْ شِدَّةِ تَكْذِيبِهِمْ لَهُ، فَدَعَا عَلَيْهِمْ ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ، فَأَرْسَلَ الْمَلَائِكَةَ لِإِهْلَاكِهِمْ، فَمَرُّوا بِإِبْرَاهِيمَ قَبْلَ ذَلِكَ، وَبَشَّرُوهُ بِإِسْحَاقَ، وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ، ثُمَّ سَأَلَهُمْ إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ يُرِيدُونَ؟ فَأَخْبَرُوهُ أَنََّّهُمْ يُرِيدُونَ إِهْلَاكَ قَوْمِ لُوطٍ، فَجَعَلَ يُرَاجِعُهُمْ وَيَقُولُ: ﴿إِنِّ فِيهَا لُوطًا﴾، فَقَالُوا لَهُ: ﴿لِنَسْجِنَهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾.

ثُمَّ مَضَوْا حَتَّى أَتَوْا لُوطًا، فَسَاءَهُ مَجِيئُهُمْ، وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا، بِحَيْثُ إِنَّهُ لَمْ يَعْرِفُهُمْ، وَظَنَّ أَنَّهُمْ مِنْ جُمْلَةِ أَبْنَاءِ السَّبِيلِ الضُّيُوفِ، فَخَافَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَوْمِهِ، فَقَالُوا لَهُ: ﴿تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾، وَأَخْبَرُوهُ أَنََّّهُمْ رُسُلُ اللَّهِ، ﴿إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا؛ أَيُّ: عَذَابًا ﴿مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، فَأَمَرُوهُ أَنْ يَسْرِيَ بِأَهْلِهِ لَيْلًا، فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَلَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ دِيَارَهُمْ، فَجَعَلَ عَلَيْهَا سَافِلَهَا، وَأَمْطَرَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سَجِيلٍ مُتْتَابِعَةً حَتَّى أَبَادَتْهُمْ وَأَهْلَكَتْهُمْ، فَصَارُوا سَمَرًا مِنَ الْأَسْمَارِ، وَعِبْرَةً مِنَ الْعِبَرِ..

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيْنَةَ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾؛ أَي: تَرَكَنَا مِنْ دِيَارِ قَوْمِ لُوطٍ آثَارًا بَيْنَةَ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ الْعِبْرَ بِقُلُوبِهِمْ، فَيَنْتَفِعُونَ بِهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَنُؤْمِنُونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ﴾ [الصفات: ١٣٧] (١).



(١) «تفسير السعدي» (ص ٦٣٠).

ضُرُورَةُ مَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ حُسْنِ الْخُلُقِ وَتَحْصِيلِهِ

عِبَادَ اللَّهِ! هَذَا الْأَمْرُ الْكَبِيرُ مِنْ أُمُورِ الشَّرِيعَةِ.. مِنْ أُمُورِ الشَّرِيعَةِ الْعِظَامِ وَمِنْ أَسْسِهَا الْكِبَارِ، حَتَّى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» (١).

وَبَيَّنَ أَنَّ حَسْنَ الْخُلُقِ يَنَالُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ فِي الْجَنَّةِ مَا لَا يَنَالُ الصَّائِمُ الْقَائِمُ، وَأَنَّ أَعْظَمَ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا مَرَّ ذِكْرُهُ؛ فَيَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَجْتَهِدَ فِي مَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَكَيْفِيَّةِ تَحْصِيلِهِ وَحِيَازَتِهِ.

وَيَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نُمَرِّنَ أَنْفُسَنَا عَلَى تَحْسِينِ أَخْلَاقِنَا وَالْخُرُوجِ مِنْ مَسَاوِيهَا، مَعَ طَلَبِ ذَلِكَ مِنْ رَبِّنَا بِالْحَاحِ دُعَاءٍ وَاسْتِكَانَةٍ وَمَذَلَّةٍ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا؛ اللَّهُمَّ آتِنَا مَحَاسِنَ الْأَخْلَاقِ، وَاهْدِنَا إِلَيْهَا لَا يَهْدِي لِأَحَاسِنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَقِنَا سَيِّئَ الْأَخْلَاقِ لَا يَبْقِي مِنْ سَيِّئِهَا إِلَّا أَنْتَ، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَهُوَ الَّذِي حَسَّنَ اللَّهُ - تَعَالَى - خُلُقَهُ وَتَمَّمَهُ وَكَمَّلَهُ حَتَّى كَانَ مِنْهُ عَلَى الْعَايَةِ وَمِنْهُ فِي نَهَايَةِ - كَمَا كَانَ يَسْأَلُ رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِيُعَلِّمَنَا كَيْفَ نَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي هَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ.

وَيَنْبَغِي عَلَى أَتْبَاعِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ عَلَى أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَأَنْ يُعْرِفُوا بَيْنَ النَّاسِ بِحُسْنِ الْخُلُقِ؛ فَإِنَّ الدَّاعِيَ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِحَالِهِ أَكْثَرُ تَأْثِيرًا فِي الْخُلُقِ

مِنَ الدَّاعِي النَّاسِ إِلَى الدِّينِ بِمَقَالِهِ؛ لِأَنَّ الدَّعْوَةَ بِالْفِعَالِ أَبْلَغُ أَثْرًا مِنَ الدَّعْوَةِ بِالْمَقَالِ، وَالنَّاسُ يَنْتَظِرُونَ تَطْبِيقَ الْفِعْلِ عَلَى الْقَوْلِ، فَإِذَا تَخَلَّفَ الْفِعْلُ عَنِ الْقَوْلِ كَانَ صَدًّا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

فَيَنْبَغِي عَلَى كُلِّ مُتَّبِعٍ لِمَنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، سَالِكًا مِنْهَاجِ السَّلَفِ، سَائِرًا عَلَى طَرِيقَتِهِمْ، مُتَّاسِيًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مُتَّأَثِّرًا أَثَرَ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ... يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي حَيَاةِ حُسْنِ الْخُلُقِ. (*)

أَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَرْزُقَنَا حُسْنَ الْخُلُقِ، وَمَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ، وَأَنْ يُجَنِّبَنَا سَيِّئَهَا وَمَرْذُولَهَا بِمَنِّهِ وَجُودِهِ وَكَرَمِهِ، وَهُوَ أَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. (* / ٢).

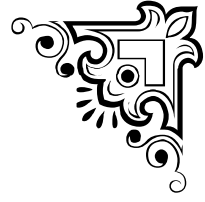
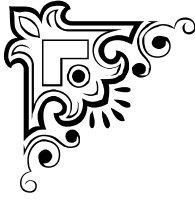
نَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ، وَأَنْ يُدِيمَنَا عَلَيْهَا وَأَنْ يُدِيمَهَا عَلَيْنَا، حَتَّى يَقْبِضَنَا عَلَيْهَا، وَأَنْ يَحْشُرَنَا فِي زُمْرَةِ مَنْ بَعَثَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِيَتِمَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى أَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. (* / ٣).



(* / ١) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «حُسْنُ الْخُلُقِ ٢» - الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ سُؤَالِ ١٤٣٨ هـ | ٢٣-٧-٢٠١٧ م.

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «كَيْفَ تَكُونُ حَسَنَ الْخُلُقِ مَعَ النَّاسِ؟» - الْأَحَدُ ١٧ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٤١ هـ | ١٠-٥-٢٠٢٠ م.

(* / ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «حُسْنُ الْخُلُقِ ٢» - الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ سُؤَالِ ١٤٣٨ هـ | ٢٣-٧-٢٠١٧ م.



الْحُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ: السَّلَامُ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هُوَ
يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمِينَ
مُتَلَاذِمِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

• أَمَّا بَعْدُ:

عِبَادَ اللَّهِ! النَّبِيُّ ﷺ بُعِثَ بِدِينِ السَّلَامِ.. بِدِينِ الرَّحْمَةِ!
بِالدِّينِ الْعَظِيمِ الَّذِي يُؤَلَّفُ وَيُجَمَّعُ، وَلَا يَنْفَرُ وَلَا يُفْرَقُ، هُوَ دِينُ الْحَقِّ
دِينُ اللَّهِ! (*).

* السَّلَامُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى:

«إِنَّ السَّلَامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ -تَعَالَى-» (٢) (*٢)، قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «أَحْدَاثُ الْبُطْرُسِيَّةِ» - ١٧ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣٨ هـ | ١٦-١٢-
٢٠١٦ م.

(٢) أخرج البخاري في «الأدب المفرد» (٩٨٩)، والبخاري (١٠٩٩)، والطبراني في «الكبير»،
وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٤) (١٦٠٧).

(*٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ» (٤٠٠٣).

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ
الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

«هُوَ اللَّهُ الْمَعْبُودُ بِحَقٍّ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ لِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ،
الْمُتَصَرِّفُ فِيهَا بِلَا مُمَانَعَةٍ وَلَا مُدَافَعَةٍ، الْمُنَزَّهَ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ، الَّذِي سَلِمَ مِنْ كُلِّ
عَيْبٍ، الْمُصَدِّقُ رُسُلَهُ وَأَنْبِيََاءَهُ بِمَا تُرْسِلُهُمْ بِهِ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ، الرَّقِيبُ عَلَى
كُلِّ خَلْقِهِ فِي أَعْمَالِهِمْ، الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يُغَالَبُ، الْجَبَّارُ الَّذِي قَهَرَ جَمِيعَ الْعِبَادِ،
وَأَدْعَنَ لَهُ سَائِرُ الْخَلْقِ، الْمُتَكَبِّرُ الَّذِي لَهُ الْكِبْرِيَاءُ وَالْعِظَمَةُ، تَنَزَّهَ اللَّهُ -تَعَالَى- عَنْ
كُلِّ مَا يُشْرِكُونَهُ بِهِ فِي عِبَادَتِهِ» (١).

«وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ
أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» (٢).

قَالَ ابْنُ فَارِسٍ فِي «مُعْجَمِ مَقَائِسِ اللَّغَةِ» (٣): «اللَّهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- هُوَ السَّلَامُ؛
لِسَلَامَتِهِ مِمَّا يَلْحَقُ الْمَخْلُوقِينَ مِنَ الْعَيْبِ وَالنَّقْصِ وَالْفَنَاءِ».

وَمِثْلُهُ لِابْنِ مَنْظُورٍ فِي «لِسَانِ الْعَرَبِ» (٤): «وَالسَّلَامُ اللَّهُ ﷻ اسْمٌ مِنْ
أَسْمَائِهِ؛ لِسَلَامَتِهِ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ وَالْفَنَاءِ؛ حَكَاهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَنَّهُ

(١) «التفسير الميسر» (ص ٥٤٨).

(٢) أخرجه مسلم (٥٩١) عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ
اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ».

(٣) «مُعْجَمِ مَقَائِسِ اللَّغَةِ» (٣/٩٠).

(٤) «لِسَانِ الْعَرَبِ» (١٢/٢٩٠).

وَلَكِنْ لِيَسْغَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ! —————

سَلِمَ مِمَّا يَلْحَقُ الْغَيْرَ مِنْ آفَاتِ الْغَيْرِ وَالْفَنَاءِ، وَأَنَّهُ الْبَاقِي الدَّائِمُ الَّذِي تَفْنَى الْخَلْقُ وَلَا يَفْنَى، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

السَّلَامُ: هُوَ السَّلَامُ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَآفَةٍ وَنَقْصٍ.

وَمَجْمُوعٌ مَا يُنَزَّهُ عَنْهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى شَيْئَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ مُنَزَّهُ عَنْ كُلِّ مَا يُنَافِي صِفَاتِ كَمَالِهِ؛ فَإِنَّ لَهُ الْمُتَهَيُّ فِي كُلِّ صِفَةٍ كَمَالٍ، فَهُوَ مَوْصُوفٌ بِكَمَالِ الْعِلْمِ، وَكَمَالِ الْقُدْرَةِ، مُنَزَّهُ عَمَّا يُنَافِي ذَلِكَ مِنَ النَّسْيَانِ وَالْغَفْلَةِ، وَأَنْ يَعْزُبَ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ، وَمُنَزَّهُ عَنِ الْعَجْزِ وَالتَّعَبِ وَالْإِعْيَاءِ وَاللُّغُوبِ، وَمَوْصُوفٌ بِكَمَالِ الْحَيَاةِ وَالْقِيُومِيَّةِ، مُنَزَّهُ عَنِ ضِدِّهَا مِنَ الْمَوْتِ وَالسَّنَةِ وَالنُّومِ، وَمَوْصُوفٌ بِالْعَدْلِ وَالْغِنَى التَّامِّ، مُنَزَّهُ عَنِ الظُّلْمِ وَالْحَاجَةِ إِلَى أَحَدٍ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ، وَمَوْصُوفٌ بِكَمَالِ الْحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ، مُنَزَّهُ عَمَّا يُضَادُّ ذَلِكَ مِنَ الْعَبَثِ وَالسَّفْهِ، وَأَنْ يَفْعَلَ أَوْ يَشْرَعَ مَا يُنَافِي الْحِكْمَةَ وَالرَّحْمَةَ.

وَهَكَذَا جَمِيعُ صِفَاتِهِ مُنَزَّهُ عَنْ كُلِّ مَا يُنَافِيهَا وَيُضَادُّهَا.

الثَّانِي: أَنَّهُ مُنَزَّهُ عَنْ مُمَاتَلَةِ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، أَوْ أَنْ يَكُونَ لَهُ نَدٌّ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ؛ فَالْمَخْلُوقَاتُ كُلُّهَا وَإِنْ عَظُمَتْ وَشَرُفَتْ وَبَلَغَتْ الْمُتَهَيُّ الَّذِي يَلِيقُ بِهَا مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْكَمَالِ اللَّائِقِ بِهَا فَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا يُقَارِبُ أَوْ يُشَابِهُ الْبَارِيَّ، بَلْ جَمِيعُ أَوْصَافِهَا تَضْمَحِلُّ إِذَا نُسِبَتْ إِلَى صِفَاتِ بَارِيهَا وَخَالَقِهَا؛ بَلْ جَمِيعُ مَا فِيهَا مِنَ الْمَعَانِي وَالنُّعُوتِ وَالْكَمَالِ هُوَ الَّذِي أَعْطَاهَا إِيَّاهُ، فَهُوَ الَّذِي خَلَقَ فِيهَا

الْعُقُولَ، وَالسَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ، وَالْقُوَى الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ، وَهُوَ الَّذِي عَلَّمَهَا
وَأَلْهَمَهَا، وَهُوَ الَّذِي نَمَّاهَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَكَمَّلَهَا، قَالَتِ الرَّسُلُ وَالْمَلَائِكَةُ:
﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة: ٣٢].

وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ يَقُولُ اللَّهُ -تَعَالَى-: «يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ
هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ...»^(١). إِلَى
آخِرِ الْحَدِيثِ.

فَهُوَ الْمُنَزَّهُ عَنْ كُلِّ مَا يُنَافِي صِفَاتِ الْمَجْدِ وَالْعِزَّةِ وَالْكَمَالِ، وَهُوَ الْمُنَزَّهُ
عَنِ الضِّدِّ وَالنَّدِّ وَالْكَفْوِّ وَالْأَمْثَالِ، وَذَلِكَ دَاخِلٌ فِي اسْمِهِ (الْقُدُّوسُ السَّلَامُ). (*).

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَمَّا كَانَ السَّلَامُ اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى،
وَهُوَ اسْمٌ مَصْدَرٌ فِي الْأَصْلِ كَالْكَلَامِ وَالْعَطَاءِ بِمَعْنَى السَّلَامَةِ؛ كَانَ الرَّبُّ
-تَعَالَى- أَحَقَّ بِهِ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ؛ لِأَنَّهُ السَّلَامُ مِنْ كُلِّ آفَةٍ وَعَيْبٍ وَنَقْصٍ وَذَمٍّ؛
فَإِنَّ لَهُ الْكَمَالَ الْمَطْلُوقَ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، وَكَمَالَهُ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ، فَلَا يَكُونُ إِلَّا

(١) أخرجه مسلم في «الصحیح»: كتاب البر والصلة: بابُ تحريمِ الظلمِ، (٢٥٧٧)، من
طريق: سعيد بن عبد العزيز، عن ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر،
عن النبي ﷺ، فيما روى عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على
نفسِي...» الحديث، إلا أن فيه: «وَأَنَا أَعْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا»، بدلا من «وَأَنَا الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ»، وفيه: «أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ بِهَا»، بدلا من «أُحْصِيهَا عَلَيْكُمْ».
وفي رواية له: «إِنِّي حَرَمْتُ عَلَى نَفْسِي الظُّلْمَ وَعَلَى عِبَادِي، فَلَا تَظَالَمُوا».

(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرَحَ فَتَحَ الرَّحِيمِ الْمَلِكِ الْعَلَامِ» (المُحَاضِرَةُ الثَّلَاثَةُ)، الْخَمِيسُ ٢٣

وَلَكِنْ لِيَسْعَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ! —————

كَذَلِكَ، وَالسَّلَامُ يَتَّصِفُ بِسَلَامَةِ أفعالِهِ مِنَ الْعَبَثِ وَالظُّلْمِ وَخِلَافِ الْحِكْمَةِ،
وَسَلَامَةِ صِفَاتِهِ مِنْ مُشَابَهَةِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَسَلَامَةِ ذَاتِهِ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ
وَعَيْبٍ، وَسَلَامَةِ أَسْمَائِهِ مِنْ كُلِّ ذَمٍّ.

فَاسْمُ (السَّلَامِ) يَتَّصِفُ بِإِثْبَاتِ جَمِيعِ الْكَمَالَاتِ لَهُ، وَسَلْبِ جَمِيعِ النِّقَائِصِ
عَنْهُ، وَهَذَا مَعْنَى (سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ)، وَيَتَّصِفُ بِإِفْرَادِهِ بِالْأَلُوْهِيَّةِ وَإِفْرَادِهِ
بِالتَّعْظِيمِ، وَهَذَا مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ)، فَانْتَضَمَ اسْمُ (السَّلَامِ) الْبَاقِيَاتِ
الصَّالِحَاتِ الَّتِي يُنْتَضَمُ بِهَا عَلَى الرَّبِّ -جَلَّ جَلَالُهُ-.

وَمِنْ بَعْضِ تَفَاصِيلِ ذَلِكَ: أَنَّهُ الْحَيُّ الَّذِي سَلِمَتْ حَيَاتُهُ مِنَ الْمَوْتِ وَالسَّنَةِ
وَالنَّوْمِ وَالتَّغْيِيرِ، الْقَادِرُ الَّذِي سَلِمَتْ قُدْرَتُهُ مِنَ اللُّغُوبِ وَالتَّعَبِ وَالإِعْيَاءِ وَالعَجْزِ
عَمَّا يُرِيدُ.

العَلِيمُ الَّذِي سَلِمَ عِلْمُهُ أَنْ يَعْزُبَ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ، أَوْ يَغِيبَ عَنْهُ مَعْلُومٌ مِنَ
المَعْلُومَاتِ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ صِفَاتِهِ عَلَى هَذَا، فَرِضَاهُ -سُبْحَانَهُ- سَلَامٌ أَنْ يُنَازِعَهُ
الْغَضَبُ، وَحِلْمُهُ سَلَامٌ أَنْ يُنَازِعَهُ الإِنْتِقَامُ، وَإِرَادَتُهُ سَلَامٌ أَنْ يُنَازِعَهَا الإِكْرَاهُ،
وَقُدْرَتُهُ سَلَامٌ أَنْ يُنَازِعَهَا العَجْزُ، وَمَشِيئَتُهُ سَلَامٌ أَنْ يُنَازِعَهَا خِلَافُ مُقْتَضَاهَا،
وَكَلامُهُ سَلَامٌ أَنْ يَعْرِضَ لَهُ كَذِبٌ أَوْ ظُلْمٌ، بَلْ تَمَّتْ كَلِمَاتُهُ صِدْقًا وَعَدْلًا، وَوَعْدُهُ
سَلَامٌ أَنْ يُلْحَقَهُ خُلْفٌ، وَهُوَ سَلَامٌ أَنْ يَكُونَ قَبْلَهُ شَيْءٌ أَوْ بَعْدَهُ شَيْءٌ، أَوْ فَوْقَهُ
شَيْءٌ أَوْ دُونَهُ شَيْءٌ، بَلْ هُوَ الْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَبْلَ كُلِّ
شَيْءٍ، وَبَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْمُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ.

وَعَطَاؤُهُ وَمَنْعُهُ سَلَامٌ أَنْ يَقَعَ فِي غَيْرِ مَوْقِعِهِ، وَمَغْفِرَتُهُ سَلَامٌ أَنْ يُبَالِي بِهَا، أَوْ يَضِيقَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ، أَوْ تَصُدَّرَ عَنْ عَجْزٍ عَنْ أَخْذِ حَقِّهِ كَمَا تَكُونُ مَغْفِرَةُ النَّاسِ، وَرَحْمَتُهُ وَإِحْسَانُهُ وَرَأْفَتُهُ وَبِرُّهُ وَجُودُهُ، وَمَوَالَاتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَتَحَبُّبُهُ إِلَيْهِمْ وَحَنَانُهُ عَلَيْهِمْ، وَذِكْرُهُ لَهُمْ وَصَلَاتُهُ عَلَيْهِمْ سَلَامٌ أَنْ يَكُونَ لِحَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهِمْ، أَوْ تَعَزُّزٍ بِهِمْ، أَوْ تَكْثُرٍ بِهِمْ؛ وَبِالْجُمْلَةِ فَهُوَ السَّلَامُ مِنْ كُلِّ مَا يُنَافِي كَلَامَهُ الْمُقَدَّسَ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ»^(١).

* دِينَنَا دِينَ السَّلَامِ:

إِنَّ السَّلَامَ قِيمَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ رَاقِيَةٌ حَرَصَ دِينُنَا الْحَنِيفُ عَلَى تَرْسِيخِهَا، فِدِينُنَا دِينَ السَّلَامِ، وَنَبِينَا ﷺ نَبِيُّ السَّلَامِ، وَتَحْيِينُنَا فِي الدُّنْيَا سَلَامٌ، وَالْجَنَّةُ هِيَ دَارُ السَّلَامِ، وَتَحْيِيَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ السَّلَامِ، وَتَحْيِيَةُ الْمَلَائِكَةِ لَهُمْ سَلَامٌ؛ حَيْثُ يَقُولُ ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

«هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ -تَعَالَى- لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً، أَي: فِي جَمِيعِ شَرَائِعِ الدِّينِ، وَلَا يَتْرُكُوا مِنْهَا شَيْئًا، وَأَلَّا يَكُونُوا مِمَّنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ، إِنْ وَافَقَ الْأَمْرُ الْمَشْرُوعُ هَوَاهُ فَعَلَهُ، وَإِنْ خَالَفَهُ تَرَكَهُ، بَلِ الْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ الْهَوَى تَبَعًا لِلدِّينِ، وَأَنْ يَفْعَلَ كُلَّ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ أَفْعَالِ الْخَيْرِ، وَمَا يَعْجِزُ عَنْهُ يَلْتَزِمُهُ وَيَنْوِيهِ فَيُدْرِكُهُ بِنَيْتِهِ.

(١) «أحكام أهل الذمة» (ص ٤١٣-٤١٥).

وَلَكِنْ لِيَسْغُفَّهُمْ مِنْكُمْ بِسَطِّ الْوَجْهِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ! —————

وَلَمَّا كَانَ الدُّخُولُ فِي السَّلَامِ كَافَّةً لَا يُمَكِّنُ وَلَا يُتَّصَرُّ إِلَّا بِمُخَالَفَةِ طَرِيقِ الشَّيْطَانِ؛ قَالَ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أَي: فِي الْعَمَلِ بِمَعَاصِي اللَّهِ ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ وَالْعَدُوُّ الْمُبِينُ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَمَا بِهِ الضَّرَرُ عَلَيْكُمْ» (١).

وَسَمَّى اللَّهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- الْجَنَّةَ دَارَ السَّلَامِ، فَقَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿هُم دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الأَنْعَامُ: ١٢٧].

﴿هُم دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ وَسُمِّيَتِ الْجَنَّةُ دَارَ السَّلَامِ؛ لِسَلَامَتِهَا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَآفَةٍ وَكَدَرٍ، وَهَمٌّ وَغَمٌّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمُنْغَصَّاتِ، وَيَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ نَعِيمُهَا فِي غَايَةِ الْكَمَالِ وَنَهَايَةِ التَّمَامِ؛ بِحَيْثُ لَا يَقْدِرُ عَلَى وَصْفِهِ الْوَاصِفُونَ، وَلَا يَتَمَنَّى فَوْقَهُ الْمُتَمَنُّونَ مِنْ نَعِيمِ الرُّوحِ وَالْقَلْبِ وَالْبَدَنِ، وَلَهُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ، وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» (٢).

وَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأَحْزَابُ: ٤٤].

«تَحِيَّةٌ هُوَ لِأَيِّ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ اللَّهِ فِي الْجَنَّةِ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ، وَأَمَانَ لَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ» (٣).

﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ أَي: تَحِيَّةُ الْمُؤْمِنِينَ «يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ» أَي: يَرَوْنَ اللَّهَ ﴿سَلَامٌ﴾

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٩٤).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٢٧٣).

(٣) «التفسير الميسر» (ص ٤٢٤).

أَيُّ: يُسَلِّمُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَيُسَلِّمُهُمْ مِنْ جَمِيعِ الْآفَاتِ» (١).

وَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣) سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ

عُقُوبَةُ الدَّارِ ﴿ [الرعد: ٢٣ - ٢٤].

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ مِنْ أَبْوَابِ الْمَنَازِلِ، أَوْ مِنْ أَبْوَابِ الْفَتْوحِ وَالتُّحَفِ قَائِلِينَ: ﴿سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ﴾ بِشَارَةَ بَدَوَامِ السَّلَامَةِ ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾.

«تَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لَهُمْ: سَلِّمْتُمْ مِنْ كُلِّ سُوءٍ بِسَبَبِ صَبْرِكُمْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ؛ فَنِعْمَ عَاقِبَةُ الدَّارِ الْجَنَّةِ» (٢).

وَلِمَكَانَةِ السَّلَامِ وَشَرَفِهِ سَمَّى رَبُّنَا ﷻ نَفْسَهُ (السَّلَامَ)، فَقَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ [الحشر: ٢٢ - ٢٤].

«هَذِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَاتُ قَدْ اشْتَمَلَتْ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى وَأَوْصَافِهِ الْعُلَى عَظِيمَةِ الشَّانِ وَبَدِيعَةِ الْبُرْهَانِ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ اللَّهُ الْمَالُوهُ الْمَعْبُودُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ؛ وَذَلِكَ لِكَمَالِهِ الْعَظِيمِ، وَإِحْسَانِهِ الشَّامِلِ، وَتَدْبِيرِهِ الْعَامِّ، وَكُلِّ إِلَهٍ غَيْرِهِ فَإِنَّهُ بَاطِلٌ لَا يَسْتَحِقُّ مِنَ الْعِبَادَةِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ؛ لِأَنَّهُ فَقِيرٌ عَاجِزٌ نَاقِصٌ، لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ

(١) «تفسير البغوي» (٣/٦٤٧).

(٢) «التفسير الميسر» (ص ٢٥٢).

وَلَكِنْ لِيَسْعَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ! —————

وَلَا لغيرِهِ شَيْئًا، ثُمَّ وَصَفَ نَفْسَهُ بِعُمُومِ الْعِلْمِ الشَّامِلِ؛ لِمَا غَابَ عَنِ الْخَلْقِ وَمَا يُشَاهِدُونَهُ، وَبِعُمُومِ رَحْمَتِهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَوَصَلَتْ إِلَى كُلِّ حَيٍّ.

ثُمَّ كَرَّرَ ذِكْرَ عُمُومِ الْهَيْئَةِ وَانْفِرَادِهِ بِهَا، وَأَنَّهُ الْمَالِكُ لِجَمِيعِ الْمَمَالِكِ، فَالْعَالَمُ الْعُلُويُّ وَالسُّفْلِيُّ وَأَهْلُهُ.. الْجَمِيعُ مَمَالِكُ لِلَّهِ، فُقَرَاءُ مُدَبِّرُونَ.

﴿الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾ أَي: الْمُقَدَّسُ السَّلَامُ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَأَفَةٍ وَنَقْصٍ، الْمُعْظَمُ الْمُمَجَّدُ؛ لِأَنَّ الْقُدُّوسَ يَدُلُّ عَلَى التَّنْزِيهِ عَنِ كُلِّ نَقْصٍ، وَالتَّعْظِيمُ لِلَّهِ فِي أَوْصَافِهِ وَجَلَالِهِ» (١).

وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ نَبِيِّنا ﷺ عَقِبَ كُلِّ صَلَاةٍ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» (٢).

«اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ» أَي: مِنَ الْمَعَائِبِ وَالْحَوَادِثِ وَالتَّغْيِيرِ وَالْأَفَاتِ، «وَمِنْكَ السَّلَامُ» أَي: مِنْكَ يُرْجَى وَيُسْتَوْهَبُ وَيُسْتَفَادُ، «تَبَارَكْتَ» أَي: تَعَالَيْتَ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا، أَوْ تَعَالَى صِفَاتِكَ عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ «يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» أَي: يَا مُسْتَحِقَّ الْجَلَالِ، وَهُوَ الْعِظَمَةُ، وَقِيلَ: الْجَلَالُ: التَّنْزَهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ، وَقِيلَ: الْجَلَالُ لَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا لِلَّهِ، وَالْإِكْرَامُ: الْإِحْسَانُ، وَقِيلَ: الْمُكْرِمُ لِأَوْلِيَائِهِ بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ» (٣).



(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٨٥٤).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) «عون المعبود» (٤/ ٢٦٤).

مُعَامَلَةُ الْإِسْلَامِ لِغَيْرِ الْمُسْلِمِينَ

لَقَدْ كَرَّمَ الْإِسْلَامُ الْإِنْسَانَ مُطْلَقًا، وَفَضَّلَهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

وَلتَفْضِيلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا لِبَنِي آدَمَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْكُتُبَ؛ لِهَدَايَتِهِمْ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَمَنْ قَبِلَ الرِّسَالََةَ وَحَمَلَ الْأَمَانَةَ؛ نَالَ هَذَا الشَّرْفَ فِي أَسْمَى مَعَانِيهِ، وَمَنْ اتَّبَعَ سَبِيلَ الشَّيْطَانِ، وَاعْتَقَّ طَرِيقَ الْغَوَايَةِ؛ خَسِرَ هَذِهِ الْكِرَامَةَ، وَنَزَلَ بِسَبَبِ ذَلِكَ إِلَى دَرَجَةِ الْحَضِيضِ فِي الذُّلِّ وَالْمَهَانَةِ، كَمَا قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥].

وَالْإِسْلَامُ حَفِظَ لِغَيْرِ الْمُسْلِمِينَ حُقُوقَهُمْ مَا دَامُوا لَمْ يُنَاصِبُوا الْمُسْلِمِينَ الْعِدَاءَ، وَلَمْ يَتَسَلَّطُوا عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَذَى؛ فَهُمْ عَلَى عَهْدِهِمْ وَذِمَّتِهِمْ، كَمَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْفُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٤].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

وَلَكِنْ لِيَسْغُفَّهُمْ مِنْكُمْ بَسْطَ الْوَجْهِ وَحُسْنَ الْخُلُقِ!

بَلْ أَمَرَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا بِحُسْنِ الْخُلُقِ مَعَ عُمُومِ النَّاسِ، فَقَالَ -عَزَّ مِنْ قَائِلٍ-:

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»^(١)؛ أَي: النَّاسَ عُمُومًا.

وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَأَمَرَنَا رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا أَنْ نُحْسِنَ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا، وَأَبَاحَ لَنَا أَنْ نَبْرَّ وَنَصِلَ مَنْ يَصِلُنَا مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

فَالْإِسْلَامُ مَا جَاءَ لِقَتْلِ النَّاسِ، وَإِنَّمَا جَاءَ لِدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى الْخَيْرِ، وَأَمَّا الْقِتَالُ فَهُوَ عِلَاجٌ يُسْتَعْمَلُ عِنْدَ الْحَاجَةِ، لَكِنَّ الْأَصْلَ الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةِ، وَالْجِدَالُ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ.

ثُمَّ إِنَّ قِتَالَ الْمُسْلِمِينَ لِلْكَفَّارِ يَشْتَمِلُ عَلَى أَحْكَامٍ عَظِيمَةٍ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ دِينُ الْعَدْلِ، وَدِينُ الرَّحْمَةِ حَتَّى مَعَ الْكُفَّارِ.

قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ نَبِيِّهِ ﷺ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً

لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (رَقْم ١٩٨٧)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي ذَرٍّ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (٣/ رَقْم ٢٦٥٥ وَ ٣١٦٠)، وَالْحَدِيثُ رُوِيَ أَيْضًا عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِنَحْوِهِ.

فَالْإِسْلَامُ يُحْرِمُ قَتْلَ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ، وَقَتْلَ الشُّيُوخِ الْكِبَارِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ رَأْيٌ فِي الْقِتَالِ، وَيُحْرِمُ قَتْلَ الرُّهْبَانِ الَّذِينَ تَفَرَّغُوا لِلْعِبَادَةِ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ شَرُّهُمْ وَكُفْرُهُمْ قَاصِرٌ عَلَيْهِمْ وَلَا يَتَعَدَّى إِلَى غَيْرِهِمْ، وَلَا يَتَّهَمُونَ وَلَا يُقَاتِلُونَ وَلَا يَحْمِلُونَ السَّلَاحَ، وَلِهَذَا نَهَى الْإِسْلَامُ عَنْ قَتْلِهِمْ.

ثُمَّ إِذَا وَقَعَ الْأَسِيرُ مِنَ الْكُفَّارِ فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُحْسِنُوا إِلَيْهِ، قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٨) إِنَّمَا نَطَعْمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿ [الإنسان: ٨-٩].

فَإِذَا رَأَى الْأَسِيرُ هَذَا التَّعَامَلَ الطَّيِّبَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَبَّمَا شَرَحَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا صَدْرَهُ لِلْإِيمَانِ، وَذَهَبَتْ عَنْهُ الْعُنْجُهِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ قَدْ صَدَّتْهُ عَنِ الدِّينِ، فَيَدْخُلُ -بِسَبَبِ ذَلِكَ وَرَحْمَةِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ- فِي دِينِ اللَّهِ الْعَظِيمِ.

وَهَذَا أَحَبُّ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَمِنَ الْبِلَادِ؛ وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ أَقْوَامٍ يُقَادُونَ إِلَى الْجَنَّةِ فِي السَّلَاسِلِ»^(١)، يَأْسِرُهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعُوا فِي الْأَسْرِ، فَأَحْسَنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِمْ، وَأَجَادُوا التَّعَامَلَ مَعَهُمْ، وَأَخَذُوا يَرْفُقُونَ بِهِمْ؛ يَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لِإِسْلَامِهِمْ، وَإِدْخَالِهِمْ الْجَنَّةَ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (رَقْم ٣٠١٠)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، بَلْفَظٍ: «عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ».

وَلَكِنْ لِيَسْأَلَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطَ الْوَجْهِ وَحُسْنَ الْخُلُقِ! —————

وَالْإِسْلَامَ يُجِيزُ الصُّلْحَ مَعَ الْكُفَّارِ إِذَا كَانَتْ الْمَصْلَحَةُ فِي ذَلِكَ لِلْمُسْلِمِينَ، قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

[الأنفال: ٦١].

لَقَدْ صَالَحَ النَّبِيُّ ﷺ قُرَيْشًا عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْخَيْرَ الْعَظِيمُ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْخَيْرَ لِلْكُفَّارِ أَيْضًا؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَكَّرُوا وَتَرَوُوا وَدَخَلُوا الْإِسْلَامَ عَنْ طَوَاعِيَةٍ وَاخْتِيَارٍ وَاقْتِنَاعٍ.

وَصَالَحَ النَّبِيُّ ﷺ الْيَهُودَ عِنْدَ قُدُومِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَوْ أَنَّ الْيَهُودَ وَفُوا بِالْعَهْدِ لَوْفَى لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، وَلَكِنَّهُمْ خَانُوا الْعَهْدَ، فَأَوْقَعَ اللَّهُ بِهِمْ عُقُوبَتَهُ.

وَإِذَا جَرَى الصُّلْحُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكُفَّارِ، إِمَّا بِالْعَهْدِ وَإِمَّا بِالْأَمَانِ؛ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يُحَرِّمُ التَّعَدِّيَ عَلَى مَالِ الْمُعَاهِدِ، أَوْ عَلَى حَيَاتِهِ، فَيَكُونُ لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِينَ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ تَعَدَّ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَوَعَّدَهُ بِالْوَعِيدِ الشَّدِيدِ، «وَمَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ^(١).

كَافِرٌ إِذَا قَتَلَهُ مُسْلِمٌ وَهُوَ مُعَاهِدٌ، فَإِنَّ اللَّهَ تَوَعَّدَهُ بِأَنَّهُ لَا يَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ، مَعَ أَنَّهُ قَتَلَ كَافِرًا!!

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (رَقْم ٣١٦٦ و ٦٩١٤)، مِنْ حَدِيثِ: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، بِلَفْظٍ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ؛ وَإِنْ رِيحَهَا لِيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا».

لَكِنَّ هَذَا الْكَافِرَ لَهُ عَهْدٌ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ

إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

وَيَقُولُ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ

تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١].

فَيَجِبُ الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ مَعَ الْكُفَّارِ، وَلَا يَجُوزُ الْإِعْتِدَاءُ عَلَى دِمَائِهِمْ، وَلَا عَلَى

أَمْوَالِهِمْ بِمُوجِبِ الْعَهْدِ الَّذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «تَفْجِيرَاتُ بُرُوكَيْسِلَ بَيْنَ الْعَدْرِ وَالْخِيَانَةِ» - الْجُمُعَةُ ١٦ مِنْ

جُمَادَى الْآخِرَةِ ١٤٣٧هـ | ٢٥-٣-٢٠١٦م.

رِسَالَةُ الْمُسْلِمِينَ: دَعْوَةُ الْعَالَمِ إِلَى التَّوْحِيدِ بِالرَّحْمَةِ وَالْعَدْلِ (١)

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَتَبَ كُتُبَهُ، وَطَيَّرَ رَسَائِلَهُ إِلَى الْمُلُوكِ فِي الْأَرْضِ: ادْخُلُوا فِي دِينِ اللَّهِ، لَا تَحُولُوا دُونَ النُّورِ وَأَقْوَامِكُمْ وَشُعُوبِكُمْ، كُفُّوا عَنِ التَّضَلُّيلِ، وَانزِعُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ وَالْإِضْلَالِ، آمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ، وَنَحْنُ وَأَنْتُمْ عَلَى كَلِمَةٍ سِوَاءٍ إِلَّا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ.

هَذِهِ هِيَ الْكَلِمَةُ السَّوَاءُ، فَسَرَهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي الْآيَةِ نَفْسِهَا، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو بِهَا الْمُلُوكَ، وَيُرْسِلُ بِهَا الْكُتُبَ، وَيَخُطُّ بِهَا الرِّسَائِلَ، وَيَدْعُو بِهَا إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَإِلَى تَوْحِيدِهِ، وَهِيَ تَتَضَمَّنُ الدَّعْوَةَ إِلَى تَوْحِيدِ الْأَلُوْهِيَّةِ، الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِبَادٌ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَعَبِيدٌ، هُوَ الَّذِي يُشْرَعُ لَهُمْ، وَهُوَ الَّذِي يَحْكُمُ فِيهِمْ، لَا يَسْتَغَلُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَلَا يَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَلَا يَعْتَدِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، إِنَّمَا الْحُكْمُ لِلَّهِ وَحَدَهُ.

(١) «خُطْبَةٌ: خِطَابٌ إِلَى الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ - ١٢ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ١٤٣٠ هـ الْمُوَافِقُ ٥ -

وَالنَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ خَيْرُ الْمُرْسَلِينَ، وَصَفْوَةُ النَّبِيِّينَ، لَمْ يُحَلَّ لَهُ رَبُّهُ جَلَّ وَعَلَا
الظُّلْمَ بِحَالٍ أَبَدًا - حَاشَا وَكَأَلَا-، لَمْ يُبِحْهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِأَحَدٍ، كَيْفَ وَقَدْ
حَرَّمَهُ عَلَى نَفْسِهِ ﷻ!!

«إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا» (١).

الإِسْلَامُ يَحْتَرِمُ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ وَلَوْ كَانَتْ كَافِرَةً، وَيَحْتَرِمُ الْجَسَدَ الْإِنْسَانِيَّ
وَلَوْ كَانَ مَقْتُولًا عَلَى الْكُفْرِ؛ فَإِنَّهُ يَنْهَى عَنِ الْمُثْلَةِ، عِنْدَمَا تَشْتَبِكُ الرِّمَاحُ، وَعِنْدَمَا
تَتَشَابَكُ الْأَسِنَّةُ، وَعِنْدَمَا تُسَلُّ السُّيُوفُ لَامِعَةً؛ يَأْتِي النَّهْيُ عَنِ الْمُثْلَةِ؛ لِأَنَّ حَامِلَ
السَّيْفِ وَمُسَدَّدَ الرَّمْحِ لَا يَخْبِطُ بِهِ خَبْطَ عَشَوَاءَ، وَإِنَّمَا هُوَ فَاعِلٌ بِذَلِكَ بِقُدْرَةِ اللَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى مِنْهَاجِ نَبِيِّنَا الْأَمِينِ ﷺ، «لَا تُمَثِّلُوا وَلَا تُغْدِرُوا وَلَا تَخُونُوا
وَلَا تَغْلُوا» (٢)، فَهَيْ عَنِ الْمُثْلَةِ، نَهَى عَنِ أَنْ يُمَثَّلَ بِقَتِيلٍ؛ تُشَوِّهُ صُورَتَهُ أَوْ تُمَزَّقَ
أَعْضَاؤُهُ أَوْ يُعْبَثَ بِجُثَّتِهِ.

فَنَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ امْتِهَانِ الْجَسَدِ الْإِنْسَانِيِّ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَإِنْ كَانَ فِي
سَاحَةِ الْحَرْبِ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْكَفْرِ، وَبَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ، ثُمَّ يَأْمُرُ الْمُسْلِمِينَ
بِأَلَّا يَدْعُوا جُثَّ الْكَافِرِينَ نَهْبًا لِجَوَارِحِ الطَّيْرِ وَسِبَاعِ الْأَرْضِ، وَإِنَّمَا تُخَدُّ لَهُمُ
الْأَحَادِيدُ، ثُمَّ يُلْقَوْنَ فِيهَا، ثُمَّ يُهَالُ عَلَيْهِمُ التُّرَابُ؛ احْتِرَامًا لِذَلِكَ الْجَسَدِ الْإِنْسَانِيِّ
وَإِنْ كَانَ قَدْ مَاتَ صَاحِبُهُ كَافِرًا كَمَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ طَوَاغِيَتِ قُرَيْشِ الَّذِينَ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٥٧٧)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٧٣١)، مِنْ حَدِيثِ: بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ.

وَلَكِنْ لِيَسْغَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ! —————

قُتِلُوا بِ(بَدْرِ)، وَجِيَءَ بِهِمْ، فَجُعِلُوا فِي الْقَلْبِ، وَكَانَ جَافًا يَابِسًا، ثُمَّ أَهِيلَ عَلَيْهِمُ
التُّرَابُ، وَجُعِلَتْ عَلَيْهِمُ الْحِجَارَةُ.

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَأْمُرُ بِعَدَمِ التَّمَثِيلِ بِالْقَتْلِ، وَيَأْمُرُ ﷺ بِأَنْ يُحْتَرَمَ الْإِنْسَانُ مِنْ
حَيْثُ هُوَ إِنْسَانٌ.

النَّبِيُّ ﷺ بُعِثَ بِدِينِ السَّلَامِ...

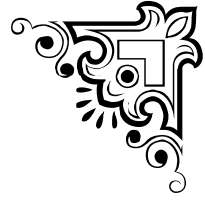
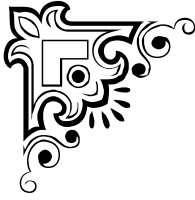
بِدِينِ الرَّحْمَةِ...

بِالدِّينِ الْعَظِيمِ الَّذِي يُؤَلَّفُ وَيُجْمَعُ، وَلَا يُنْفَرُ وَلَا يُفْرَقُ، هُوَ دِينُ الْحَقِّ
دِينُ اللَّهِ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «أَحْدَاثُ الْبَطْرُسِيَّةِ» - ١٧ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣٨ هـ / ١٦-١٢-



الفهرس

- ٣ الْمُقَدِّمَةُ
- ٤ وَلَكِنْ لِيَسْغَوْهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ
- ٨ فَضَائِلُ حُسْنِ الْخُلُقِ وَثَمَرَاتُهُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ
- ٤٥ الْمَثَلُ التَّطْبِيقِيُّ مِنْ حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ
- ٥٧ الْأَخْلَاقُ مِنْ أَعْظَمِ رَكَائِزِ بِنَاءِ الْحَضَارَاتِ
- ٦٦ ضَرُورَةُ مَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ حُسْنِ الْخُلُقِ وَتَحْصِيلِهِ
- ٦٨ * الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ
- ٦٨ السَّلَامُ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ
- ٧٧ مُعَامَلَةُ الْإِسْلَامِ لِغَيْرِ الْمُسْلِمِينَ
- ٨٢ رِسَالَةُ الْمُسْلِمِينَ: دَعْوَةُ الْعَالَمِ إِلَى التَّوْحِيدِ بِالرَّحْمَةِ وَالْعَدْلِ

